سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٢٠٠)

برنامج الدرس الواحد

تطريز
شرح تفسير كلمة التوحيد

للعلامة
صالح بن فوزان بن عبد الله بن فوزان



منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى







للإعلام بخطأٍ طباعيٍّ أو الاستدراك أو إبداء رأيٍ؛
يُرجى المراسلة على البريد الآتي : Abdellahdj24@gmail.com










تطريز

شرح تفسير كلمة التوحيد

لِلعلَّامة
صالح بن فوزان بن عبد الله بن فوزان

مَنقُول مِنَ التَّسجِيلِ الصَّوتيِّ لِلشَّيخِ الدُّكتُورِ
صالح بن عبد الله بن حمد العُصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النُّسخة الأُولى







بسم الله الرحمن الرحيم







الحمد لله ربِّنا، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بَعْدُ:

فهذا هو (**الدَّرس السَّادس عشر**) من (**برنامج الدَّرس الواحد الثَّالث**)، والكتاب المقروء فيه هو «**شرح تفسير كلمة التَّوحيد**» للعلَّامة ابن فوزانَ حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

وقبل الشُّروع في إقرائه لا بدَّ من ذكر مقدِّمتين اثنتين:







المُقَدِّمَةُ الأُولَى: التَّعرِيفُ بالمُصَنِّفِ

وتنتظمُ في ثلاثة مقاصدَ:

● المقصد الأوَّل: جرُّ نسبه:

هو الشَّيخ العلَّامة صالح بن فوزانَ بن عبد الله الفوزان[1].

● المقصد الثَّاني: تاريخ مولده:

وُلِد حَفِظَهُ ٱللَّهُ سنة أربعٍ وخمسين بعد الثَّلاثمائة والألف (١٣٥٤).

● المقصد الثَّالث: تاريخ وفاته[2]:

لا يزال الشَّــيخ حيًّا بين أظهرنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ ممتَّعًا بالصِّــحَّة والعافية، وله من العمر إحدى وسبعون سنةً[3].



---

(١) تقدَّم التَّنبيه أنَّ هذا البناء الجاري على لسان أهل نجدٍ - بإهمال ياء النَّسب - على غير وَفق سَنن العربيَّة؛ فإمَّا أن يُزاد فيه ياء النَّسب، فيُقال: الفوزانيُّ، أو لا يُذكَر إلَّا مسبوقًا بكلمة (ابن)، فيُقال: ابن فوزان.

(٢) تقدَّم أنَّ ذكر المقصد الثَّالث في حقِّ الأحياء يُراد به التزامُ منهجٍ واحدٍ في التَّرجمة.

(٣) كان هذا حين تدريس الكتاب سنة خمسٍ وعشرين بعد الأربعمائة والألف (١٤٢٥)، أمَّا في هذه السَّنة الَّتي يُنشَر فيها تفريغ الدَّرس سنة خمسٍ وأربعين بعد الأربعمائة والألف (١٤٤٥) فعمر الشَّيخ - أطال الله عمره على طاعته - إحدى وتسعون سنةً.




المُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ: التَّعْرِيفُ بالمُصَنِّفِ

وتنتظم في ثلاثة مقاصدَ أيضًا:

• المقصد الأوَّل: تحقيق عنوانه:

اسم هذا الكتاب: «شرح تفسير كلمة التَّوحيد»؛ فهو الاسم الَّذي طُبِع به تحت نظر مصنِّفه في حال حياته.

• المقصد الثَّاني: بيان موضوعه:

الموضوع الَّذي يدور عليه رَحى هذا الكتاب هو شرح رسالةٍ من رسائل إمام الدَّعوة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب؛ هي رسالة «تفسير كلمة التَّوحيد».

• المقصد الثَّالث: توضيحُ منهجه:

أصل هذا الكتاب درسٌ ألقاه الشَّيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ، وسُجِّل صوتيًّا، ثمَّ فُرِّغ وصُحِّح وَفق ما يناسب المكتوب.

وقد وُفِّق المعتني به في وضع تعاليق المصنِّف في مواضعها؛ إلَّا أشياءَ يسيرةً كان ينبغي أن تُقدَّم أو تُؤخَّر؛ ليناسب الشَّرح سياق المتن.

وقد جمع المصنِّف بين بيان الحقِّ وذكر دلائله، وتزييف الباطل ودَحر شبهه؛ متعرِّضًا لبيان فساد بعض المقالات الرَّديَّة والاعتقادات المُرْدِية.









قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

سُئل الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن معنى (لا إله إلَّا الله)؟

فأجاب بقوله:

(اعلم - رحمك الله تَعَالَى - أنَّ هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه.

وبعد:

كلمة (لا إله إلَّا الله) كلمةٌ عظيمةٌ، خفيفةٌ على اللِّسان، وهي عظيمةٌ في الميزان؛ لأنَّها - في الحقيقة - هي مضمون الإسلام.

ولكن هذه الكلمة ليست مجرَّد لفظٍ؛ بل لها معنًى، ولها مقتضًى، ولها أركانٌ، ولها شروطٌ لا بدَّ من معرفتها، ولو كان القصد مجرَّدَ التَّلفُّظ بها صار كلُّ مَن يقولها مسلمًا؛ لأنَّه سهلٌ أن يقول: (لا إله إلَّا الله) ويصير مسلمًا ولو لم يعمل شيئًا.

فهذه كلمةٌ عظيمةٌ، ولكن لها معنًى، ولها مقتضًى، ولها أركانٌ، ولها شروطٌ لا بدَّ من تحقيقها؛ ولهذا فإنَّها لا تنفع إلَّا مع موجود هذه المذكورات.

وهذه الكلمة لها أسماءٌ:

منها: أنَّها (كلمة الإخلاص)؛ لأنَّها تنفي الشِّرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وتثبت العبادة لله عَزَّوَجَلَّ؛ لذلك سُمِّيت (كلمة الإخلاص) أي إخلاص التَّوحيد، وإخلاص العبادة، وتجنُّب الشِّرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

وتُسـمَّى (**كلمة التَّقوى**)؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾[الفتح]، و(كلمة التَّقوى) هي (لا إله إلَّا الله)؛ لأنَّها تقي من قالها مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ من النَّار، ولأنَّها تقتضي أعمال البرِّ؛ لأنَّ التَّقوى هي أعمال البرِّ والطَّاعات، هذه الكلمة تقتضي كلَّ أعمال البرِّ والطَّاعة، فهي كلمة التَّقوى.

وأيضًا هي (العروة الوثقى)؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٥].

﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ هذا هو معنى (لا إله إلَّا الله)؛ أنَّه يكفر بالطَّاغوت: هذا هو معنى (لا إله)، ويؤمن بالله: هذا هو معنى (إلَّا الله).

فمعنى ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ هو مقتضى (لا إله إلَّا الله)؛ ولذلك سُمِّيت (العروة الوثقى).

وأيضًا هي كما قال الشَّيخ: (الفارقة بين الكفر والإسلام)؛ فمن قالها عالمًا بمعناها، عاملًا بمقتضاها؛ صار مسلمًا، ومَن أبى أن يقولها، أو قالها ولكن لم يعلم معناها، أو قالها ولم يعمل بمقتضاها؛ لم يكن مسلمًا، حتَّى يعرف معناها، ويعمل بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا.

هذه أسماء (لا إله إلَّا الله): كلمة الإخلاص، كلمة التَّقوى، العروة الوثقى، الكلمة الفاصلة بين الكفر والإسلام.

لأنَّ كثيرًا من النَّاس لا يهتمُّون بمقتضى هذه الكلمة، مع أنَّهم يُكثِرون من النُّطق بها

وذكر الله بها؛ كالصُّوفيَّة؛ فلهم أورادٌ صباحيَّةٌ ومسائيَّةٌ فيها (لا إله إلَّا الله) آلاف المرَّات، ولكنَّهم يدعون غير الله! فهي لا تفيدهم شيئًا؛ لأنَّهم لم يعملوا بمقتضاها؛ فهم يقولونها ويقرأونها في أورادهم ويكرِّرونها، ولكن يدعون الموتى، ويستغيثون بالمقبورين، ويطيعون مشايخ الطُّرق الَّذين يُشرِّعون لهم عباداتٍ لم يشرعها الله ولا رسوله! فلا يتلقَّون التَّشريع عن الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنَّما يتلقَّونه من مشايخهم.

فهؤلاء يُكثرون النُّطق بـ (لا إله إلَّا الله) صباحًا ومساءًا، ولا يغني عنهم نطقهم بها شيئًا ولا يفيدهم شيئًا.

ومن الصُّوفيَّة من لا ينطق بها كاملةً، وهؤلاء - بزعمهم - أنَّهم صاروا خواصَّ الخواصِّ؛ لا يقولون: (لا إله إلَّا لله)؛ بل يقولون: (الله الله)، هذا ذِكرهم! يردِّدون (الله، الله، الله)، مع أنَّه لا بدَّ أن تأتي بجملةٍ مفيدةٍ، أمَّا (الله، الله) فهو اسمٌ مجرَّدٌ؛ فهو لا يفيد شيئًا.

وبعضهم لا يقول لفظ الجلالة؛ بل يقول: (هو، هو، هو) ضمير غائبٍ! وهذا لا يفيد شيئًا؛ لأنَّه تلاعبٌ بهذه الكلمة.

فيجب التَّنبُّه لهذه الأمور؛ لأنَّ الشَّيطان لمَّا علم أنَّ هذه الكلمة هي كلمة الإسلام، وكان عند النَّاس رغبةٌ في النُّطق بها والذِّكر بها، صرفهم عنها بهذه الحِيل، وأتى لهم بهذه الوساوس، وقال لهم: (قولوا: الله، الله)، أو (قولوا: هو هو)!

وبعضهم لا يتلفَّظ لا بـ (الله) ولا بـ (هو)؛ وإنَّما يقولها بقلبه فقط!

كلُّ هذا تلاعبٌ من الشَّيطان؛ فيجب التَّنبُّه لهذا.

ومِن النَّاس من يُغفِله الشَّيطان عن قول: (لا إله إلَّا الله)؛ فلا يقولها إلَّا نادرًا، ولا

يذكر الله بها إلَّا قليلًا، ولا يكرِّرها، مع أنَّها ثقيلةٌ في الميزان؛ كما جاء في «كتاب التَّوحيد» أنَّها لو وُضعِت في كِفَّةٍ، ووُضِعت السَّماوات ومن فيها غير الله والأرض ومَن فيها في كِفَّةٍ؛ لَمالت بهنَّ (لا إله إلَّا الله)، فهي تَثقُل بمن في السَّماوات ومن فيها - غير الله - والأرض وبمَن فيها؛ فهي كلمةٌ عظيمةٌ.

ولكن قلَّ من يتنبَّه لها ويستحضرها ويُعوِّد لسانه على النُّطق بها وتكرارها، إلَّا من وفَّقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف وَفَّقَهُ ٱللَّهُ - فيما مضى من كلامه - **جملةً من المسائل**:

فالمسألة الأولى: التَّعريف بقدر كلمة التَّوحيد (لا إله إلَّا الله)، وأنَّها (كلمةٌ خفيفةٌ على اللِّسان، وهي عظيمةٌ في الميزان).

وكلَّما كان الإنسان متمكِّنًا من الإتيان بحقوقها ومقتضاها، متحقِّقًا بما يُوجِبه معناها؛ سَهُلت هذه الكلمة عليه، وأجراها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على لسانه في أشدِّ أحواله حين الاحتضار؛ فإنَّ هذه الكلمة في ذلك الحين تخفُّ على القائم بها، ويُيسِّر الله عَزَّوَجَلَّ له الخَتم عليها.

وأمَّا مَن كان مباعدًا لمقتضاها، مجانبًا لحقيقة معناها؛ فإنَّها تثقل عليه، فيَفوته خيرٌ عظيمٌ؛ لثقل هذه الكلمة في الميزان؛ فهي تَثقُل بالسَّماوات والأرض وعامرِهنَّ إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ.

والمســـألة الثَّانية: أنَّ (هذه الكلمة ليســـت مجرَّد لفظٍ) مفرَّغٍ من المعنى؛ (بل لها معنًى، ولها مقتضًى، ولها أركانٌ، ولها شروطٌ)؛ كما سيأتي في كلام المصنِّف وَفَّقَهُ ٱللَّهُ.

وليس المقصـــود (مجرَّد التَّلفُّظ بها)؛ لأنَّه يســـهل ذلك على كلِّ أحدٍ؛ ومن جملة هؤلاء: المنـافقون؛ الَّـذين يقولون بـألســـنتهم: (لا إلـه إلَّا الله) ويُضـــمِرون الكفر في بواطنهم.

المســـألة الثَّالثة: التَّنبيه على أنَّ هذه الكلمة هي (كلمة الإخلاص)، **وإنَّما كانت كذلك لأنَّها جمعت معنيين اثنين:**

- **أولَّهما**: أنَّها تُخلِص حقَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ فلا يكون لـه شـــريكٌ في عبـادته، ويتضمَّن ذلك نفيَ الشِّرْكة عنه في الرُّبوبيَّة، والأسماء والصِّفات.
- **والآخر**: أنَّها تُخلِّص صاحبها من نار جهنَّمَ.

المســـألة الرَّابعة: أنَّ هذه الكلمة هي (كلمة التَّقوى)، وسُـــمِّيت بذلك لأنَّها تقي صاحبها من النَّار إذا قالها مخلِصًا؛ كما في «الصَّحيح» أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**».

خامســـها: أنَّ هذه الكلمة هي (العروة الوثقى)، **والعروة**: ما يُتمسَّـــك به من عُراه، **والوثقى**: المُحكَمة القويَّة.

وقد أشـار الله عَزَّوَجَلَّ إلى ذلك بقوله: (﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾[البقرة:٢٦٥]).

المسـألة السَّـادسـة: أنَّ معنى هذه الكلمة هو ما اشتملت عليه آية البقرة المتقدِّمة من إثبات العبوديَّة لله عَزَّوَجَلَّ، ونفيها عمَّا ســـواه؛ فقوله تَعَالَىٰ: (﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾)

معناه صدرُ الجملة: (لا إله)، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ معناه عجزُ الجملة: (إلَّا الله).

المســألة السَّــابعة: أنَّ هذه الكلمة هي (الفارقة بين الكفر والإســلام)؛ (فمَن قالها عالمًا بمعناها، عاملًا بمقتضاها؛ صار مسلمًا) من أهل الإيمان، (ومن أبى أن يقولها، أو قالها) لكنَّه كذب في دعواه - إذ لم يعمل بها، وخالَف مقتضاها -؛ (لم يكن مسلمًا).

المسـألة الثَّامنة: أنَّ (كثيرًا من النَّاس لا يهتمُّون بمقتضـى هذه الكلمة)؛ فربَّما رأيتَ في المنتسـبين إلى الإسـلام مَن يجعل في وِرده اليوميِّ تكرار هذه الكلمة آلاف المرَّات، إلَّا أنَّه يناقضــها في يومه مرَّاتٍ ومرَّاتٍ؛ فيدعو غير الله، ويســتغيث بغير الله، ويخاف من غير الله، ويرغب إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ.

المسألة التَّاسعة: بيان تلاعب الشَّيطان بطوائفَ من أرباب التَّصوُّف؛ الَّذين صُرِفوا عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الكلمة إلى الاقتصـــار على قولهم: (الله، الله)، ثمَّ زاد تلاعب الشَّيطان بهم؛ فاقتصروا على ضمير الغَيبة (هو، هو)، ثمَّ زاد تلاعب الشَّيطان بهم؛ فصار بعضهم يحبس لسانه عن اللَّهَج بها، ويزعم أنَّه يقولها بقلبه.

المسألة العاشرة: أنَّ من تلاعب الشَّيطان أيضًا بالنَّاس في صدِّهم عن هذه الكلمة: إغفالهم عن قولها؛ فتجد مِن النَّاس من لا يقولها إلَّا نادرًا، ولا يذكر الله بها إلَّا قليلًا، وليس له نصيبٌ منها في يومه وليلته - مع عظيم فضلها، وثقل وزنها، وجسيم بركتها في الدُّنيا والآخرة - إلَّا المرَّة بعد المرَّة! و(قلَّ مَن يتنبَّه لها ويستحضرها ويُعوِّد لسانه على) اللَّهج بها!

❁ ❁ ❁

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(وهي كلمة التَّقوى، وهي العروة الوثقى، وهي الَّتي جعلها إبراهيمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[الزُّخرف:٢٨]).

وهذه الكلمة (لا إله إلَّا الله) هي الَّتي عناها إبراهيمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ٢٧﴾ [الزُّخرف]؛ هذا هو معنى (لا إله إلَّا الله).

﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾: هذا معنى النَّفي (لا إله)، ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: هذا معنى الإثبات (إلَّا الله)، ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي إبراهيمُ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جعل هذه الكلمة ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ في ذرِّيَّته، فلا يزال فيهم من يقول: (لا إله إلَّا الله)، لم يتركوها كلُّهم ولم يشركوا كلُّهم؛ بل فيهم من قالها واستقام عليها، ولو كان عددًا قليلًا أو أفرادًا.

فلمَّا بُعِث محمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بُعِث بهذه الكلمة؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**».

فالرَّسول بُعِث بـ (لا إله إلَّا الله)، وهي الكلمة الَّتي جعلها جدُّه إبراهيمُ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ باقيةً في عقبه، وكان محمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مِن عَقِب إبراهيمَ، وبعثه الله بها يدعو النَّاس إليها ويُقاتلهم عليها؛ فهي كلمةٌ عظيمةٌ.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي يَرجعون إليها، وببعثة محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ رجع إليها الكثير من ذرِّيَّة إبراهيمَ.

فالرَّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بُعِث بهذه الكلمة والدَّعوة إليها وتحقيقها والعمل بها؛ بل إنَّ كلَّ الرُّسل بُعِثوا بها؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[النَّحل:٣٦]، هذا معنى (لا إله إلَّا الله): ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، هذا معنى النَّفي والإثبات: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[الأنبياء].

وقال تَعَالَى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ الأنبياء والرُّسل ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[النَّحل:٢].

كلُّ الرُّسل بُعِثوا بـ(لا إله إلَّا الله)، ولكنَّ إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جعلها كلمةً باقيةً في عَقِبه إلى أن تقوم السَّاعة.

ولا يزال في ذرِّيَّة إبراهيمَ مَن يتوارث هذه الكلمة علمًا وعملًا وتحقيقًا، وإن أعرض عنها الأكثرون.



قَال الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف وَفَّقَهُ ٱللَّهُ في **هذه الجملة ثلاث مسائلَ:**

فالمسألة الأولى: الإعلام بأنَّ هذه الكلمة هي الكلمة الَّتي عناها إبراهيمُ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قوله: (﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ٢٧﴾[الزُّخرف])؛ فإنَّه قد جمع في قوله هذا بين النَّفي والإثبات، كما اشتملت عليهما كلمة التَّوحيد.

فقوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ تصريحٌ بالنَّفي، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ تصريحٌ بالإثبات.

المسألة الثَّانية: أنَّ أبانا إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (جعل هذه الكلمة ﴿بَاقِيَةٗ فِي

عَقِبِهِۦ﴾[الزُّخرف:٢٨])؛ (فلا يزال فيهم مَن يقول: (لا إلـه إلَّا الله) لم يتركوها)، ولن يتركوها، ولا يزال في النَّاس (مَن يتوارث هذه الكلمة علمًا وعملًا وتحقيقًا).

وهذه الآية هي الآية المصـدِّقة من القرآن الكريم للأحاديث الصَّـحيحة الواردة في بقاء الطَّائفة المنصورة والفرقة النَّاجية إلى قيام السَّاعة.

فلو قيل لك: أين ذُكِرت الطَّائفة المنصـورة والفرقة النَّاجية في القرآن؟ فقُل: في هذه الآية؛ ففيها الإعلام بأنَّ إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جعل هذه الكلمة باقيةً في عقبه من بعده، فلا تزال في الأرض حتَّى يرث الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الأرض ومَن عليها.

وقد كان أكثر النَّاسِ قبل بعثة النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من ذرِّيَّة إبراهيمَ قد تركوا هذه الكلمة وهجروها، ولبَّس عليهم الشَّـيطان، وزيَّن لهم عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، فقام النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيهم بشـيرًا ونذيرًا، ومشـى في أسـواقهم ينادي: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ قُولُوا: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا**»، كما صـحَّ بذلك الخبر في «مسـند أحمدَ»، فرجع بدعوته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كثيرٌ من ذرِّيَّة إبراهيمَ من العرب وغيرهم إلى هذه الكلمة العظيمة.

المسـألة الثَّالثة: أنَّ البعث بهذه الكلمة لم يختصَّ برسـولنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ بل كلُّ الأنبياء والرُّسـل قد جاؤوا بالدَّعوة إلى التَّوحيد؛ كما قال تَعَالَىٰ: (﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[النَّحل:٣٦])، وقال تَعَالَىٰ: (﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[الأنبياء]).

فجميع الأنبياء جاؤوا بالدَّعوة إلى التَّوحيد، واجتمعوا على ذلك؛ وهذا من أعظم الأدلَّة على تعظيم التَّوحيد، وتوجيه الأنظار والقلوب إلى العناية به، ورعاية مقامه، وأنَّه من أعظم العلوم؛ لتعلُّقه بأعظم حقٍّ، وهو حق الألوهيَّة والعبوديَّة لربِّنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(وليس المرادُ قولَها باللِّسان مع الجهل بمعناها).

ليس المقصود قول (لا إله إلَّا الله) باللِّسان فقط من غير فهمٍ لمعناها؛ لا بدَّ أن تتعلَّم معنى (لا إله إلَّا الله).

أمَّا إذا قلتَها وأنت لا تعرف معناها فإنَّك لا تعتقد ما دلَّت عليه، فكيف تعتقد شيئًا تجهله؟! فلا بدَّ أن تعرف معناها حتَّى تعتقده.

تعتقد بقلبك ما تلفظ به بلسانك؛ فلازمٌ أن تتعلَّم معنى (لا إله إلَّا الله)، أمَّا مجرَّد نطق اللِّسان من غير فهمٍ لمعناها فهذا لا يفيد شيئًا.

أيضًا لا يكفي الاعتقاد بالقلب ونطق اللِّسان؛ بل لا بدَّ من العمل بمقتضاها؛ وذلك بإخلاص العبادة لله، وترك عبادة مَن سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فـ (لا إله إلَّا الله) كلمة نطقٍ وعلمٍ وعملٍ، ليست كلمة لفظٍ فقط.

أمَّا المرجئة فهم يقولون: يكفي التَّلفُّظ بـ (لا إله إلَّا الله)، أو يكفي التَّلفُّظ بها مع اعتقاد معناها، والعمل ليس بلازمٍ! من قالها ولم يعمل شيئًا من لوازمها هو من أهل الجنَّة، ولو لم يصلِّ ولم يزكِّ ولم يحجَّ ولم يصم! ولو فعل الفواحش والكبائر والزِّنى والسَّرقة وشرب الخمر وفعل ما يريد من المعاصي! وتَرك الطَّاعات كلَّها؛ لأنَّه تكفيه (لا إله إلَّا الله) عندهم.

هذا مذهب المرجئة الَّذين يُخرِجون العمل من حقيقة الإيمان، ويعتبرون العمل إن جاء فبِها ونِعمت، وإن لم يجئ فإنَّها تكفي (لا إله إلَّا الله) عندهم.

ويستدلُّون بأحاديثَ تفيد أنَّ مَن قال: (لا إله إلَّا الله) دخل الجنَّة!!

ولكنَّ الرَّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما اقتصر على هذه الأحاديث؛ فالرَّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ له أحاديثُ أخرى تقيِّد هذه الأحاديث، ولا بدَّ أن تجمع بين كلام الرَّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعضه إلى بعضٍ، لا أن تأخذ منه طرفًا وتترك طرفًا؛ لأنَّ كلام الرَّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُفسِّر بعضُه بعضًا، ويُبيِّن بعضه بعضًا، أمَّا الَّذي يأخذ طرفًا ويترك طرفًا فإنَّه من أهل الزَّيغ الَّذين يتَّبعون ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾[آل عمران:٧].

الرَّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ...**»، وهذا حديثٌ صحيحٌ؛ فلماذا غفلتُم عنه؟!

وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**».

أمَّا الَّذي يقول: (لا إله إلَّا الله) ولا يكفر بما يُعبَد من دون الله، ويدعو الأولياء والصَّالحين؛ فإنَّ هذا لا تنفعه (لا إله إلَّا الله)؛ لأنَّ كلام الرَّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُفسِّر بعضُه بعضًا، ويُقيِّد بعضُه بعضًا؛ فلا تأخذْ بعضَه وتترك بعضه.

والله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾[آل عمران:٧]، يأخذون الَّذي يصلح لهم، ويتركون الَّذي لا يصلح لهم، ويقولون: استدللنا بالقرآن.

نقول: ما استدللتُم بالقرآن؛ القرآن إن قال كذا فقد قال كذا؛ فلماذا تأخذون بعضًا وتتركون بعضًا؟! ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[آل عمران:٧]: المُحكَم والمتشابه؛ فيَردُّون المتشابه إلى المُحكَم، ويفسِّرونه به ويقيِّدونه به ويفصِّلونه، أمَّا أنَّهم يأخذون المتشابه ويتركون المُحكَم فهذه طريقة أهل الزَّيغ.

فالَّذين يأخذون بحديث أنَّ «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» ويقتصرون على هذا، ولا يُورِدون الأحاديث الواضحة الَّتي فيها القيود وفيها التَّفصيل؛ فهؤلاء أهل زيغٍ.

فيجب على طالب العلم أن يعرف هذه القاعدة العظيمة؛ لأنَّها هي جِماع الدِّين، وهي أساس الملَّة.

ليس المقصود أنَّك تأخذ آيةً أو حديثًا وتترك غيره؛ بل المقصود أنَّك تأخذ القرآن كلَّه، وتأخذ السُّنَّة كلَّها، وكذلك كلام أهل العلم؛ العالم إذا قال كلامًا لا تأخذه وحده حتَّى تردَّه إلى كلامه الكامل، وتتتبَّع كلامَه في مؤلَّفاته؛ لأنَّه يُقيِّد بعضه بعضًا؛ لأنَّهم على سَنن كتاب الله وسنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فتردُّ المطلق إلى المقيَّد من كلامهم.

فطالب العلم يجب عليه أن يأخذ هذه القاعدة معه دائمًا، ويحذر من طريقة أهل الزَّيغ الَّذين يأخذون الَّذي يصلح لهم ويتركون الَّذي لا يصلح لهم من الكتاب ومن السُّنَّة ومن كلام أهل العلم، ويبترون النُّقول، ويتركون باقي الكلام، أو يتركون الكلام الثَّاني الَّذي يُوضِّحه، ويأخذون الكلام المشتبه ويتركون الكلام البيِّن.

كثيرٌ من الَّذين يدَّعون العلم غفلوا عن هذا الشَّيء؛ إمَّا عن قصد التَّضليل، وإمَّا عن جهلٍ، فيجب معرفة هذه الأمور، وأن تكون أصولًا وقواعدَ عند طالب العلم.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

نبَّه المصنِّف وَفَّقَهُ اللَّهُ إلى **غلط طائفتين في هذا الباب:**

الطَّائفة الأولى: طائفةٌ زعموا أنَّ التَّلفُّظ باللِّسان بهذه الكلمة كافٍ، من غير حاجةٍ

إلى اعتقاد القلب ولا عمل الأركان والجوارح.

والطَّائفة الثَّانية: طائفةٌ ظنَّت أنَّ اعتقاد القلب لها ونطق اللِّسان بها كافٍ عن العمل بالجوارح والأركان.

وحقيقة هذه الكلمة تُوجِب اعتقادها بالقلب، والنُّطق بها باللِّسان، وظهورَ آثار ذلك بالعمل في الجوارح والأركان.

وإنَّما وقع هؤلاء فيما وقعوا فيه من الغلط؛ لتمسُّكهم ببعض ظواهر الأحاديث والآي، وتركهم لأدلَّةٍ أخرى من القرآن والسُّنَّة؛ يدلُّ مجموعها على أنَّ **(التَّوحيد) قائمٌ على هذه الأمور الثَّلاثة**:

- نطق اللِّسان.
- واعتقاد الجَنان.
- وعمل الجوارح والأركان.

كما بيَّنه إمام الدَّعوة في آخر كتاب «كشف الشُّبهات».

فلا يتمُّ للعبد التَّوحيدُ إلَّا باجتماع هذه الأمور الثَّلاثة.

وهذه الطَّريقة الَّتي سلكها هؤلاء القوم هي طريقة أصحاب الزَّيغ؛ الَّذين يأخذون بعض دلائل الشَّريعة ويهجرون بعضًا.

وما من صاحب بدعةٍ إلَّا وهذه طريقته؛ ذكر ذلك أبو محمَّد ابن قُتَيبَةَ في مقدِّمة كتابه «تأويل مختلف الحديث».

فالخوارج - مثلًا - يأخذون بأحاديث الجهاد والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

والمرجئة يأخذون بالأحاديث الَّتي تضمَّنت ذكر قول: (لا إله إلَّا الله) باللِّسان فقط.

وهكذا كلُّ طائفةٍ من طوائف الزَّيغ والضَّلال؛ تأخذ بعض الشَّرع وتترك بعضًا؛ (﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾)، وأمَّا الرَّاسخون في العلم فيقولون: (﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾[آل عمران:٧]).

وهذه قاعدةٌ عظيمةٌ في كلام الله وكلام رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل في كلام البشر من العلماء؛ فإنَّ كلامَهم المتفرِّق إذا ظُنَّ أنَّ بعضَه يخالف بعضًا وجب الجمع والتَّأليف بينه؛ إحسانًا للظَّنِّ بعلماء الكتاب والسُّنَّة.

ومن هنا قعَّد الفقهاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قاعدةً نفيسةً - ألحقها بعضهم بالقواعد الخمس الكلِّيَّة، وجعلها سادسةً لهنَّ -؛ وهي (إعمال الكلام أَولى من إهماله).

فإذا تعدَّد الكلام المنقول في بابٍ واحدٍ من كلام الله أو كلام رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو كلام الصَّحابة والتَّابعين وتابعي التَّابعين والعلماء العاملين؛ كان عين الصَّواب أن يُصدِّق الكلام بعضُه بعضًا، وأن يُحمَل الكلام بعضه على بعضٍ بالتَّأليف والجمع، وردِّ مطلقه إلى مقيَّده، ومجمله إلى مُبيَّنه، وعامِّه إلى خاصِّه.

ومن سلك هذه الطَّريقة سَلم له دينه ونجا.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(فإنَّ المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار ﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء:١٤٥]).

المنافقون الَّذين هم (﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾) هم الَّذين يُظهِرون الإسلام ويُبطِنون الكفر؛ لأنَّه لمَّا هاجر النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى المدينة، وصار حوله المهاجرون والأنصار، وقَوي الإسلام، وانتصر الدِّين في بدرٍ - تلك الواقعة العظيمة؛ الَّتي طار خبرها في المشارق والمغارب؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ انتصر على صناديد قريشٍ، وقريشٌ كانت تاج العرب، وكان النَّاس ينظرون إليها؛ فلمَّا انتصر عليها صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في بدرٍ، وقُتِل رؤَساؤُها - عند ذلك قال المنافقون: نحن وقعنا في المدينة بين المهاجرين والأنصار ومعهم الرَّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وماذا نعمل؟ لجأُوا إلى حيلةٍ؛ وهي أنَّهم يُظهِرون الإسلام؛ من أجل أن يعيشوا بين المسلمين، ويحافظوا على دمائهم وأموالهم.

والرَّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليس له إلَّا الظَّاهر، ليس يدري عن القلوب إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ؛ فمن أظهر الإسلامَ قبلناه منه حتَّى يظهر منه ما يخالف ظاهره.

وقالوا: (لا إله إلَّا الله)، وشهدوا للرَّسول بالرِّسالة ظاهرًا؛ كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ۝٢﴾ [المنافقون]، ﴿جُنَّةً﴾: يعني سترةً يستترون بها.

فالمنافقون دخلوا في الإسلام - لمَّا رأوا قوَّة المسلمين - ظاهرًا، وبقوا على الكفر باطنًا - والعياذ بالله.

ولذلك جعلهم الله في الدَّرك الأسفل من النَّار تحت المشركين عبدةِ الأوثان، تحت الملاحدة؛ لعظيم جرمهم وخداعهم ومكرهم، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [البقرة].

فالمنافق يقول: (لا إله إلَّا الله) وهو في الدَّرك الأسفل من النَّار؛ فكيف تقولون: إنَّ (لا إله إلَّا الله) يكفي مجرَّد التَّلفُّظ بها، وهؤلاء المنافقون في الدَّرك الأسفل من النَّار وهم يقولون: (لا إله إلَّا الله)، فدلَّ أنَّ مجرَّد النُّطق بها لا يكفي إلَّا باعتقاد القلب وعمل الجوارح.



قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من دلائل عدم إغناء هذه الكلمة من يقولها بلسانه من غير اعتقاد قلبه ولا عمل جوارحه، مستشهِدًا بحال المنافقين الَّذين يقولون: (لا إله إلَّا الله) بألسنتهم، ويُقِرُّون بالإسلام في ظواهرهم، أمَّا بواطنهم فهم يُضمِرون فيها الكفر.

والمراد بهؤلاء المنافقين: من كان متَّصفًا بالنِّفاق الأكبر؛ لأنَّ **النِّفاق** - كما عرفتَ سابقًا - هو ستر أصل الإيمان أو كماله؛ فإن كان المستور من الإيمان الأصلَ: فذلكم هو النِّفاق الأكبر، وإن كان كمالَه: فذلكم هو النِّفاق الأصغر.

والمراد في هذا الموضع: أصحاب النِّفاق الأكبر؛ الَّذين يُظهِرون الإسلام بقول: (لا إله إلَّا الله) ويُبطِنون الكفر.

وهؤلاء نشأُوا في الإسلام لمَّا أكبَّ الله عَزَّوَجَلَّ المشركين على وجوههم ومصارعهم

في بدرٍ، وظهرت قوَّة الإســلام، وصــار جَنابه مُهابًا، فدخل مَن دخل مِن أهل المدينة في الإسلام بظاهره وبقي في باطنه على الكفر، وكانوا يأتون للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشهدون له بالرِّسـالة، وفي ضـمن هذا دعواهم أنَّهم يشــهدون لله عَزَّوَجَلَّ بالتَّوحيد؛ لأنَّ إقرارهم للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرِّسالة يلزم منه تصديقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما دعاهم إليه.

إلَّا أنَّهم جعلوا ذلك ظاهرًا، وابتغوا به أنْ تُعصَــم أموالهم ودماؤهم؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ [المنافقون:٢])، فـإنَّهم إنَّما قصــدوا حفظ النَّفس والمال والعِرض بقول هذه الكلمة، وهم في ظواهرهم من أهل الإســلام، وأمَّا في بواطنهم فهم أهل الكفر.

ولذلك يُعَدُّون من هذه الأمَّة باعتبار الظَّاهر؛ كما جاء التَّصـريح بذلك في حديث الرُّؤية المخرَّج في «الصَّـحيحين» من حديث أبي سـعيدٍ وأبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: «**فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَـيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ...**»، إلى أن قال: «**وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَـافِعُوهَا**»؛ فإنَّ المراد بـ (الشَّافعين) في هذا الموضع: المنافقين؛ فـ (الشَّفع) ضد (الوتر)، وهم في الظَّاهر من أهل الإسـلام، أمَّا في الباطن فهم من أهل الكفر، فصـاروا بهذا الاعتبار من جملة الأمَّة؛ شافعون لها في الصُّورة الظَّاهرة، مفارِقون لأهل الإسلام في بواطنهم.

وهؤلاء مع قولهم: (لا إله إلَّا الله) بألسـنتهم، لم تُغنِ عنهم هذه الكلمة شـيئًا؛ بل جعلهم الله عَزَّوَجَلَّ في الدَّرك الأسفل، جزاءً وِفاقًا؛ فإنَّهم سعوا في مخادعة الله ورسـوله والمؤمنين بما تستَّروا به رجاء حفظ دمائهم وأموالهم وأعراضـهم؛ فعاقبهم الله عَزَّوَجَلَّ بأن جعلهم أسـفلَ النَّار وراء الَّذين كفروا؛ لأنَّهم جعلوا كُفرهم باطنًا، بخلاف أولئك الَّذين صرَّحوا بكفرهم.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(مع كونهم يصلُّون ويتصدَّقون).

المنافقون يصلُّون ويتصدَّقون ويخرجون للجهاد مع الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الظَّاهر، ولكنَّهم منافقون في قلوبهم، وهم يقولون: (لا إله إلَّا الله) ولم تنفعهم.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

دلَّت آياتٌ كثيرةٌ وأحاديثُ وفيرةٌ على أنَّ المنافقين كانوا مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل صلاةٍ وصدقةٍ وخروجٍ للجهاد معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّساء:١٤٢]، ولكنَّهم يُضمِرون في بواطنهم النِّفاق والكفر، ويقولون بألسنتهم: (لا إله إلَّا الله)، ومع صلاتهم وصدقاتهم وجهادهم فإنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكم عليهم بأنَّهم من أهل الدَّرك الأسفل من النَّار.

ولذلك يأتي يوم القيامة المنافق ويلقى ربَّه - كما في «الصَّحيح» - فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: **«أَيْ فُلْ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ؛ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ»**، وفي آخر الحديث أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عنه: **«وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ المُنَافِقُ»**.

فللمنافق صلاةٌ وصيامٌ وجهادٌ، ولكنَّه يعمل هذه الأعمال في الظَّاهر ليستتر بها ممَّا يُسفَك به دمه ويُصاب ماله ويُثلَم عِرضه؛ فهم أرادوا بهذه الظَّواهر إصابة حظوظهم من

حياتهم الدُّنيا؛ فعُوقِبوا بضدِّ قصودهم، ولم تنفعهم هذه الأعمال، ولا نفعهم قول: (لا إله إلَّا الله) وهم مُضمِرون للكفر في بواطنهم.

وفي هذا أبلغُ البيان على أنَّ هذه الكلمة لا تغني عن صاحبها شيئًا إذا قالها بلسانه فقط، ومن باب أَولى أنَّها لا تغني عن صاحبها شيئًا وهو يقولها بلسانه ثمَّ يُظهِر مِن الأعمال والأقوال ما يخالف معناها وحقيقتها.

وإنَّك لَتعجب مِن امرئٍ يقول: (لا إله إلَّا الله)، ثمَّ يدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، ويستعين بغير الله، ويخاف من غير الله، ويتوكَّل على غير الله، وينذر لغير الله، ويذبح لغير الله!! فأين (لا إله إلَّا الله) في قلبه وعمله ولسانه؟!

وإنَّ مشركي الجاهليَّة الأولى أعلم من هؤلاء بـ(لا إله إلَّا الله)؛ فقبَّح الله رجلًا أبو جهلٍ أعلم منه بـ(لا إله إلَّا الله) - كما ذكر إمام الدَّعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا المعنى في «كتاب التَّوحيد» وفي «كشف الشُّبهات» -؛ فإنَّ أبا جهلٍ وأضرابه لمَّا قيل لهم: «قولوا: لا إله إلَّا الله»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]؛ فعرفوا بصحَّة عقولهم وفصاحة ألسنتهم أنَّ هذه الكلمة تقتضي ألَّا يكون معبودٌ إلَّا الله، ثمَّ خُذِلوا بما وَقَر في قلوبهم وأُشرِبت نفوسهم من تعظيم غير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فامتنعوا من الإقرار بهذه الكلمة والعمل بمقتضاها.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(ولكنَّ المرادَ قولُها مع معرفتها بالقلب، ومحبَّتها ومحبَّة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداتُه).

المراد من (لا إله إلَّا الله): قولها باللِّسان، مع اعتقاد القلب بها، والعمل بمقتضاها، وموالاة أهلها ومعاداة من خالفها، وهذا هو الحبُّ في الله، والبغض في الله؛ فهذه كلُّها من مقتضى (لا إله إلَّا الله).

ولهذا؛ قالوا: (لا إله إلَّا الله) لها سبعة شروطٍ؛ نظمها بعض العلماء بقوله:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وصِدْقُكَ مَعْ ... مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولُ لَهَا

زاد الشَّيخ سعد بن عتيقٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرطًا ثامنًا؛ فقال:

وَزِيدَ ثَامِنُهَا: الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا ... سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَدْ أُلِهَا

وركنا (لا إله إلَّا الله) هما النَّفي والإثبات؛ فلا يكفي النَّفي، ولا يكفي الإثبات؛ بل لا بدَّ من الاثنين.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

نبَّه المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الجملة إلى المراد من (لا إله إلَّا الله)، **وأنَّ المراد من هذه الكلمة**: الجمع بين معناها في اعتقاد الجنان، وقول اللِّسان، وعمل الجوارح والأركان، وموالاة أهلها، ومعاداة أعدائها؛ حبًّا في الله، وبغضًا في الله.

ومن هنا ذكر العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بيانهم لهذه الكلمة أنَّ لها معنًى ولها شروطًا.

فـأمَّـا معنـاهـا فهو (لا معبود حقٌّ إلَّا الله)؛ وقـد جُمِع في هـذه الكلمـة بين النَّفي والإثبات؛ فنُفِي استحقاق الإلهيَّة عن غير الله، وأُثبِت الإلهيَّة والعبادة لله وحده.

وأمَّا شــروطها فذكرها المجدِّد الثَّاني عبد الرَّحمن بن حسـنٍ في «فتح المجيد»، وعدَّها سبعة شروطٍ، ثمَّ تبعه من تبعه من أئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ونظمها العلَّامة سعد بن عتيقٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذين البيتين:

(عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وصِدْقُكَ مَعْ   مَـحَـبَّـةٍ وَانْـقِـيَـادٍ وَالْـقَـبُـولُ لَـهَـا)

ثمَّ نبَّه إلى زيادة شرطٍ ثامنٍ؛ فقال:

(وَزِيـدَ ثَـامِنُهَـا: الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا   سِـوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَشْـيَاءِ قَدْ أُلِهَا)

وهذا الشَّرط الثَّامن الَّذي زِيد هو حقيقة معنى (لا إله إلَّا الله).

فالأظهر أنَّ شـروط هذه الكلمة هي سبعةٌ؛ كما نصَّ على ذلك العلَّامة عبد الرَّحمن ابن حسنٍ في «فتح المجيد».

وسـياق المصـنِّف وَفَّقَهُ ٱللَّهُ يُشـعِر بأنَّ البيت الأوَّل لبعض العلماء، وأنَّ البيت الثَّاني هو من زيادات سـعد بن عتيقٍ، وكأنَّه تلقَّى هذا من كلام العلَّامة ابن بازٍ؛ فإنَّه ذكر هذا المعنى في بعض كلامه وكتبه.

والَّـذي أحفظـه عن كبـار تلاميـذ العلَّامـة سـعـد بن عتيقٍ - ممَّن لقينـا من بقاياهم؛ ومنهم: الشَّـيخ سـعد الفالح، والشَّـيخ محمَّد بن أحمدَ بن سـعيدٍ - أنَّ هذين البيتين هما من نظم الشَّـيخ سـعد بن عتيقٍ؛ فالأصـل البقاء على هذا ما لم يتبيَّن صـحَّة خلافه.

وهذان الرَّجلان أطول صـحبةً وأكثر قراءةً على الشَّـيخ سـعد بن عتيقٍ من العلَّامة

ابن بازٍ؛ فإنَّه إنَّما قرأ على الشَّيخ سعدٍ قطعةً من «كتاب التَّوحيد»، ثمَّ ترك القراءة عليه؛ لكبر سنِّه، وأمَّا الشَّيخ محمَّد بن أحمدَ بن سعيدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - الَّذي تُوفِّي قريبًا، وكان آخر تلاميذ العلَّامة عبد الله بن عبد اللَّطيف المتوفَّى سنة تسعٍ وثلاثين بعد الثَّلاثمائة والألف - فقد كان من خواصِّ الشَّيخ سعد بن عتيقٍ، وكان المصاحب له الَّذي يقرأ عليه الكتبَ حال الإعداد للدُّروس لمَّا كَبُر الشَّيخ وشاخ وذهب بصره، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ رحمةً واسعةً.



قال المصنف وفقه الله:

(كما قال النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ مُخْلِصًــا...»، وفي روايةٍ: «خَالِصًــا مِنْ قَلْبِهِ»، وفي روايةٍ: «صَــادِقًا مِنْ قَلْبِهِ»، وفي حديثٍ آخر: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ...»).

(«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ مُخْلِصًا»): هذا قيدٌ، لم يقتصر على قوله: («مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»)؛ بل قال: («مُخْلِصًــا مِنْ قَلْبِه»)؛ لا يكفي أنَّه يقول: لا إله إلَّا الله، حتَّى يكون ذلك خالصًا من قلبه؛ لئلَّا يكون من المنافقين الَّذين يقولونها بألسنتهم ولكن لا يقولونها بقلوبهم.

و(«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَر بِمَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ») هذا قيدٌ عظيمٌ، وهو قوله: («وَكَفَر بِمَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ»)؛ لأنَّ كثيرًا يقولون: لا إله إلَّا الله، ولا يتركون عبادة القبور، ودعاء الأموات والاستغاثة بهم، وطلب الحاجات مِن غير الله؛ هؤلاء لا تنفعهم (لا إله إلَّا الله)؛ لأنَّهم لم يكفروا بما يُعبَد من دون الله.



قال الشارح وفقه الله:

ممَّا يُبطِل دعوى الزَّاعمين الاكتفاء بقول: (لا إله إلَّا الله) باللِّســان، وأنَّ مَن قالها بلســانه كان مســلمًا وإن فعل ما فعل - زيادةً على ما تقدَّم من حال المنافقين -: دليلٌ ثانٍ؛ وهو ما جاءت به الأدلَّة من تقييد هذه الكلمة بقيودٍ ثِقالٍ، لا ينجو العبد إلَّا بالإتيان بها؛ كما في قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: («مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ خَالِصًــا مِنْ قَلْبِهِ»)، وفي روايةٍ: («مُخلِصًــا»)، فإنَّ قول: (لا إله إلَّا الله) قُيِّد هاهنا بقيدٍ ثقيلٍ؛ وهو الإخلاص، وعرفتَ

فيما سلفَ أنَّ (**الإخلاص**) هو تصفية القلب من إرادة غير الله.

وقُيِّدت بقيدٍ ثانٍ في حديثٍ آخرَ؛ وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ**»)؛ فبيَّن هذا الحديث أنَّ قول: (لا إله إلَّا الله) باللِّسان لا يكفي؛ بل لا بدَّ من الكفر بما يُعبَد من دون الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فمَن قال: (لا إله إلَّا الله) ثمَّ دعا البدويَّ، أو السَّيِّدة نفيسةَ، أو عبد القادر الجيلانيَّ، أو غيرهم من المُعظَّمين؛ فقد كذب في دعواه؛ فإنَّ حقيقة (لا إله إلَّا الله) ألَّا يُعبَد إلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ، ومُقتضى دعاء هؤلاء أنَّهم عبدوا غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

ومَن رأى حال النَّاس فيما كانوا عليه في هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلاميَّة ممَّا كتبه العلماء - لا المؤرِّخون -؛ كما قيَّده العلَّامة عبد الرَّحمن بن حسنٍ في «مقاماته»، وابنه الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسنٍ في بعض رسائله، وأخوه العلَّامة إسحاقُ بن عبد الرَّحمن بن حسنٍ في رسالةٍ مفردةٍ = عَلِم ما آل إليه الأمر في هذه الأزمان من تلاعب الشَّيطان بالمنتسبين إلى الإسلام؛ فهم يزعمون أنَّهم من أهل الإسلام، ويقولون: (لا إله إلَّا الله)، ثمَّ تجد أفعالهم تنضح بالشِّرك أكثر من شرك أهل الجاهليَّة الأولى! كما ذكر ذلك العلَّامة شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب في «كشف الشُّبهات» و«القواعد الأربع»، ثمَّ تبعه آخرون؛ كالعلَّامة الصَّنعانيِّ والشَّوكانيِّ، من أنَّ كفر من تأخَّر من المشركين أعظمُ من كفرِ من تقدَّم منهم.

حتَّى إنَّ المتأخِّرين تفنَّنوا فيما يُعظِّمونه من المعبودات؛ فجعلوا لكلِّ معبودٍ خَصِيصةً من الخصائص؛ كما ذكر العلَّامة طه الزَّينيُّ رَحِمَهُ اللهُ - من علماء الأزهر - أنَّ كثيرًا من أهل تلك النَّاحية كانوا يعتقدون في قبر الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللهُ النَّفع في الإعانة على

الاختبارات الدِّراسيَّة، فكان أكثر الطَّلبة - من طلَّاب الأزهر وغيره - يستفتحون اختبارهم بالتَّوجُّه إلى قبر الشَّافعيِّ والبقاءِ دقائقَ يدعونه رجاء نفعه في هذا الاختبار.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممَّا سُمِع من البلايا أنَّ بعض الطَّلبة أطال في توجُّهه إلى ناحية قبر الشَّافعيِّ، فأجلسه المشرف على قاعة الاختبار وقال له: (يا ابني؛ يكفي الإمام سمع)! وهذا من أعظم البلاء.

فانظر إلى عظيم تلاعب الشَّيطان بالمنتسبين إلى الإسلام.

ولكنَّ الأرض لا تخلو بِحَمْدِ ٱللَّهِ من قائمٍ لله بحجَّةٍ، سواءً في تلك البلاد أم في غيرها؛ فلا يزال من علماء الأزهر وغيره من هو قائمٌ لله بالدَّعوة إلى التَّوحيد، كما كان العلَّامة طه الزَّينيُّ والعلَّامة عبد الرَّحمن الوكيل والعلَّامة محمَّد حامد الفقي قائمين بالدَّعوة إلى التَّوحيد في القرن الماضي في تلك البلاد.

والمقصود أن تعلم أنَّ هذه الكلمة لا تُغني بمجرَّد القول؛ لأنَّها قد قُيِّدت بقيودٍ ثِقالٍ في هذه الأحاديث؛ فهذا دليلٌ ثانٍ - بعد الدَّليل الأوَّل؛ الَّذي هو حال المنافقين - كاشفٌ عن أنَّ قول هذه الكلمة مجرَّدةً لا يُغني عن صاحبه شيئًا.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(إلى غير ذلك من الأحاديث الدَّالَّة على جهالة أكثر النَّاس بهذه الشَّهادة).

أكثر النَّاس يجهلون هذه الشَّهادة؛ يحسبونها مجرَّد لفظٍ يُقال باللِّسان، وكثيرٌ من العلماء لا يفهمون معنى (لا إله إلَّا الله) وهم علماء في الفقه، علماء في النَّحو، علماء في الحديث، ولكن أكثرهم ليس له عنايةٌ بالتَّوحيد، أو يتعلَّم عقيدة الأشاعرة وعلماءِ الكلام الَّتي تقتصر على توحيد الرُّبوبيَّة، ويقولون: (لا إله إلَّا الله) ويفسِّرونها: لا خالقَ إلَّا الله، لا يقدر على الاختراع إلَّا الله! هذا تفسيرهم لها؛ فهم لا يتعدَّون توحيد الرُّبوبيَّة، ويُفسِّرون (لا إله إلَّا الله) بما لا يزيد عن توحيد الرُّبوبيَّة، ولا يتعرَّضون لتوحيد الألوهيَّة الَّذي هو مطلَب (لا إله إلَّا الله).

اقرؤوا عقائد المتكلِّمين تجدوا أنَّهم يركِّزون على إثبات وجود الله؛ كأنَّ الله فيه شكٌّ! والاعتراف بأنَّه هو الخالق الرَّازق المحيي المميت...، إلى آخره، ولا يذكرون العبادة، ولا يذكرون الألوهيَّة أبدًا!

هذا لا يزيد على دين المشركين الَّذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾[يونس:٣١]؛ يُثبِتون الرَّبَّ ولكن يعبدون غيره! ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾[يونس:١٨]؛ ما يقولون: إنَّهم يخلقون ويرزقون، ولكن يقولون: إنَّهم شفعاءُ وُسطاءُ لنا عند الله!

فالأمر خطيرٌ جدًّا؛ فهناك لَبْسٌ كثيرٌ في هذا الأمر، وضلَّ كثيرٌ من النَّاس بهذا اللَّبْس.

الَّذي يُخلِص التَّوحيد ويُبيِّن معنى (لا إله إلَّا الله) يقولون: هذا يُكفِّر المسلمين!

نحن نَبرأ إلى الله من الَّذي يكفِّر المسلمين، نحن ما نكفِّر إلَّا من كفَّره الله ورسوله؛ فالَّذي لا يحقِّق (لا إله إلَّا الله) قد كفَّره الله ورسوله.

قال الشَّارح وفَّقه الله:

بيَّن المصنِّف وَفَّقَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة ما يصدِّق ما تقدَّم من عظيم جهل النَّاس بهذه الكلمة؛ فإنَّ (أكثر النَّاس يجهلون) حقيقة (هذه الشَّهادة)، و(يحسبونها مجرَّد لفظٍ يُقال باللِّسان) ويكفي.

ويُوجَد هذا في (كثيرٍ من العلماء؛ لا يفهمون) كلمة التَّوحيد فهمًا صحيحًا؛ فهم (علماء في الفقه أو النَّحو) أو الأصول ويقع منهم الشِّرك العظيم! كما كان بعض المبرِّزين - ممَّن هلك في أوَّل هذا القرن - رأسًا في علم أصول الفقه، ولكنَّه كان سادنًا على قبر زينبَ! فانظر إلى هذا الرَّجل، مع عظيم علمه وتوسُّعه في فنِّ الأصول، إلَّا أنَّه كان جاهلًا بالتَّوحيد، ولَصبيٌّ من الموحِّدين خيرٌ منه؛ لمعرفته توحيدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإنَّما أوقع هؤلاء في هذه الفِخاخ: عدم عنايتهم بتعلُّم التَّوحيد، وتركهم الالتفات إليه؛ تفهُّمًا لِما جاء من الآي والأحاديث، وما صنَّفه أئمَّة الهدى رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بيان توحيد العبادة؛ فلا هم فهموا ما في القرآن والسُّنَّة من آي وأحاديث التَّوحيد، ولا هم استفادوا ممَّا صنَّفه الأئمَّة الموفَّقون في هذا الباب؛ ابتداءً من المصنَّفات الأولى في توحيد العبادة الَّتي صنَّفها أمثال العلَّامة ابن رجبٍ صاحب «كتاب التَّوحيد» - المسمَّى «كلمة الإخلاص» أيضًا -، والعلَّامة المَقريزيُّ المصريُّ صاحب «تجريد التَّوحيد المفيد»، وانتهاءً بما صنَّفه دعاة التَّوحيد من أئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة الَّذين قاموا ببيان

التَّوحيد بيانًا عظيمًا، حتَّى شهد لهم بذلك مَن ليس من أهل بلادهم؛ كما ذكر مقامهم في ذلك بعض السَّادات من أهل حضرموت؛ كما نقله العلَّامة أبو بكرٍ خُوقير - مِن علماء مكَّةَ - في «فصل المقال»؛ فإنَّه لم يقم ببيان حقائق التَّوحيد وكشف دلائله ونَصب براهينه في المتأخِّرين كما قام أئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة، وبذلك ظهرت بركة دعوتهم، وقطف النَّاس ثمارها في حسن دينهم وسلامة ديانتهم من التَّوجُّه والتَّعلُّق بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

وربَّما أوقع هؤلاء في هذه الفِخاخ: اكتفاؤهم بتعلُّم التَّوحيد من كتب العقائد الأشعريَّة، وما صنَّفه علماء الكلام الَّذين اعتنوا بتقرير توحيد الرُّبوبيَّة ولم يلتفتوا إلى تحقيق توحيد الألوهيَّة؛ كما جاء في ترجمة الرَّازيِّ - وسبق ذكر قصَّته - أنَّه كان يعرف على وجود الله عَزَّوَجَلَّ ألف دليلٍ؛ فله يدٌ طُولى وقدمٌ سابقةٌ في معرفة توحيد الرُّبوبيَّة.

فعلماء الكلام أكثر همِّهم وأكبر شُغلهم في نَصب الأدلَّة المتعلِّقة بتوحيد الرُّبوبيَّة، ويغفلون عن العناية بتوحيد الألوهيَّة مع عظيم الحاجة إليه، ويُفسِّرون (لا إله إلَّا الله) بأنَّ معناها: لا خالقَ أو لا رازقَ أو لا قادرَ إلَّا الله؛ فينشأ الصَّغير ويهرم الكبير على مثل هذه المعتقَدات، فيقعون في الطَّوامِّ العِظام من صرف العبادة لغير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وتعظم المصيبة إذا قام داعيةٌ إلى التَّوحيد فتطاولت ألسنة الأفَّاكين بأنَّه يكفِّر النَّاس! كما قال بعض النَّاس قديمًا وحديثًا بأنَّ دعوة التَّوحيد في هذه البلاد تكفِّر المسلمين!

ولم يكن أئمَة الدَّعوة يكفِّرون إلَّا من كفَّر الله ورسولُه؛ فلم يكونوا مشغوفين بالتَّكفير، مائلين إليه، قد غلب على قلوبهم! - كما تفوَّه بذلك بعض السُّفهاء من أهل العصر - ولكنَّهم كانوا أولي غيرةٍ على توحيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وقيامٍ في نصرته، وبذلٍ للنَّفس والنَّفيس في سبيل إظهار معالمه ونصر أعلامه.

وهم إذا بيَّنوا الحقَّ لم يُعجِب هذا الحقُّ بعض النَّاس ممَّن وردوا وشربوا من المناهل الكَدِرة من مناهل الشِّرك والكفر، فأراد هؤلاء أن ينفِّروا النَّاس من أئمَّة الدَّعوة، فوصفوهم بأنَّهم يكفِّرون النَّاس، ويقاتلون المسلمين، ويسعون في الأرض فسادًا!

وكُتب أئمَّة الدَّعوة بِحَمْدِ ٱللَّهِ - ابتداءً من إمام الدَّعوة شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب، وانتهاءً بالأحياء منهم كشارح هذه الرِّسالة - شاهدةٌ بأنَّهم لا يكفِّرون إلَّا من كفَّر اللهُ ورسوله، وهم بَراءٌ من دعوى تعميم الكفر وتكفير كلِّ أحدٍ، حتَّى زعم بعض الزَّاعمين أنَّهم يرون أنَّ من لم يسكن ديارهم ويهاجر إليهم فهو كافرٌ وإن وافقهم فيما يدعون إليه! وهذا من أعظم البهتان.

ولكنَّ دعوة الحقِّ تبقى مرفوعةً عاليةً؛ لأنَّها ليست دعوة محمَّد بن عبد الوهَّاب، ولا دعوة أتباعه وتلاميذه، ولا لأجل أنَّها الدَّعوة الَّتي سعى في نصرها ملوك آل سعودٍ، ولكن لأنَّها الدِّين الَّذي رضيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للنَّاس؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران]، وهي الدَّعوة الَّتي قام بها الأنبياء والمرسلون، وعلى رأسهم صفوتُهم وإمامهم محمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فينبغي ألَّا تمنع هذه المكدِّرات صاحبَ التَّوحيد عن التَّمسُّك به؛ فإنَّه يتمسَّك بالقرآن والسُّنَّة؛ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[الرَّعد:١٧].



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(فاعلم أنَّ هذه الكلمة نفيٌ وإثباتٌ).

هذه الكلمة لها ركنان؛ هما نفيٌ وإثباتٌ؛ فلا يكفي النَّفي، ولا يكفي الإثبات؛ بل لا بدَّ من الاثنين مُقترِنين؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٦٥]؛ ما قال: ﴿يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ فقط؛ بل قال: ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، ولا قال: (مَن يؤمن بالله) ولم يذكر الكفر بالطَّاغوت؛ لا بدَّ من الاثنين.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

سبق بيان هذه الجملة، وأنَّ هذه الكلمة جمعت بين النَّفي والإثبات:

- فالنَّفي: في قوله: (لا إله).
- والإثبات: في قوله: (إلَّا الله).

وآيات القرآن الكريم كثيرةٌ في هذا المعنى.

وهذه هي طريقة القرآن في الجمع بين النَّفي والإثبات فيما أُريد نفي الشِّرْكة فيه عن الرَّبِّ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ صرَّح بذلك ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.



قَال المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(نفي الإلهيَّة عمَّا سوى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ من المرسلين حتَّى محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن الملائكة حتَّى جبريلَ، فضلًا عن غيرهما من الأنبياء والصَّالحين، وإثباتها لله عَزَّوَجَلَّ).

نفي الإلهيَّة عن كلِّ ما يُعبَد من دون الله من المخلوقات؛ ولو كان من أصلح الصَّالحين.

فأصلح البشر هو محمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأصلح الملائكة هو جبريلُ، ومع هذا لو أنَّ أحدًا يعبد جبريلَ أو يعبد محمَّدًا فإنَّه يكون مشركًا خالدًا في النَّار؛ لأنَّ الله لا يرضى أن يُشرَك معه أحدٌ، لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من الصَّالحين، ولا من الأشجار والأحجار؛ ولهذا يقول: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:١١٠]، ﴿أَحَدًا﴾ هذا عامٌّ.

قال: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[النِّساء:٣٦]، ﴿شَيْـًٔا﴾ أيُّ شيءٍ؛ هذا نفيٌ عامٌّ، والمنفيُّ نكرةٌ، والنَّكرة في سياق النَّفي تعمُّ كلَّ شيءٍ.



قَال الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

نبَّه المصنِّف وَفَّقَهُٱللَّهُ في هذه الجملة إلى معنى النَّفي المذكور في (لا إله إلَّا الله)، وأنَّه (نفي الإلهيَّة عن كلِّ ما يُعبَد من دون الله عَزَّوَجَلَّ) كائنًا من كان، ولو كان ملَكًا مقرَّبًا - كجبريلَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ - أو نبيًّا مرسلًا - كمحمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فلا يجوز أن يُصرَف لأحدٍ غيرِ الله عَزَّوَجَلَّ - ولو قَدْر قُلَامة ظفرٍ - شيءٌ من العبادة؛ بل العبادة كلُّها - كبيرُها وصــغيرُها، جليلُها ودقيقُها - حقٌّ محضٌ لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ إذ هو الَّذي تَألهه القلوب بالحبِّ والتَّعظيم، ومقتضــى هذا التَّأليه ألَّا يُصــرَف منه شــيءٌ لغيره.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(إذا فهمتَ ذلك؛ فتأمَّل الألوهيَّة الَّتي أثبتها الله تَعَالَى لنفســه، ونفاها عن محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وجبريلَ وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبَّةٍ من خردلٍ).

(الألوهيَّة) معناها: العبادة، ومن هنا غلط كثيرون في تفسير (لا إله إلَّا الله) وفسَّروها بغير تفسيرها؛ **ومن ذلك:**

أوَّلًا: تفسير أهل وحدة الوجود لكلمة التَّوحيد:

فأهل وحدة الوجود – ابن عربيٍّ وأتباعُه – يقولون: (لا إله إلَّا الله: لا معبود إلَّا الله، أو لا إلهَ موجودٌ إلَّا الله).

معنى هذا أنَّ كلَّ المعبودات هي الله؛ لأنَّ عندهم أنَّ الوجود لا ينقســم بين خالقٍ ومخلوقٍ، كلُّه هو الله.

هذا معنى أنَّهم أهل وحدة الوجود، يجعلون الوجود يتَّحد ولا ينقســم، كلُّه هو الله، مهما عبد الإنسانُ من شيءٍ فإنَّه قد عبد الله؛ الَّذي عبد البقر، والَّذي عبد الصَّنم، والَّذي عبد الحجر، والَّذي عبد البشــر، والَّذي عبد الملائكة = كلُّهم يعبدون الله؛ لأنَّ الله هو الوجود المُطلَق.

والَّذي يقول: (إنَّ الوجود ينقســم إلى قســمين: إلى خالقٍ، ومخلوقٍ) يقولون عنه: إنَّ هذا مشــركٌ؛ فلا يكون موحِّدًا عندهم إلَّا من قال: (إنَّ الوجود شــيءٌ واحدٌ هو الله)؛ فمهما عبدتَ من هذا الكون من أشـجارٍ أو أحجارٍ أو أصنامٍ أو طواغيتَ فإنَّك تعبد الله؛ لأنَّ هذا هو الله!!

وبهذه المناسبة؛ فإنَّه يَغلط بعض العوامِّ يقول: (ولا معبودَ سواك)، وهذا يوافق قول

أهل وحدة الوجود، ولكن لو قال: (لا معبودَ بحقٍّ سواك)، فلو زاد كلمة (بحقٍّ) صحَّ؛ لأنَّ ما سواه معبودٌ بالباطلِ؛ قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحجّ].

ثانيًا: تفسير علماء الكلام لكلمة التَّوحيد:

علماء الكلام يقولون: (لا إله إلَّا الله: لا قادرَ على الاختراع والخلق والتَّدبير والإيجاد إلَّا الله)! وهذا غير صحيحٍ، هذا يوافق دين المشركين؛ فالمشركون يقولون: (لا يقدر على الخلق إلَّا الله، لا يحيي إلَّا الله، لا يميت إلَّا الله، لا يرزق إلَّا الله)، وهذا توحيد الرُّبوبيَّة.

ثالثًا: تفسير (لا إله إلَّا الله) عند الجهميَّة والمعتزلة ومن سار على نهجهم:

هو نفي الأسماء والصِّفات؛ لأنَّ من أثبت الأسماء والصِّفات عندهم يكون مشركًا! والتَّوحيد عندهم هو نفي الأسماء والصِّفات!

رابعًا: تفسير الحزبيِّين والإخوانيِّين اليوم:

يقولون: (لا إله إلَّا الله: أي لا حاكميَّةَ إلَّا لله)!

و(الحاكميَّة) - كما يسمُّونها - جزءٌ من معنى (لا إله إلَّا الله)؛ لأنَّ معناها شاملٌ لكلِّ أنواع العبادات! فنقول لهم: وأين بقيَّة العبادات؟! أين الرُّكوع، والسُّجود، والذَّبح، والنَّذر، وبقيَّة العبادات؟! هل العبادة هي الحاكميَّة فقط - إذا كان معناها عندكم الحاكميَّة فقط -؟! وأين ما تنفيه من أنواع الشِّرك؟!

يا سبحان الله! ينبغي التَّنبُّه لهذه الأمور؛ لأنَّ هذه كلمةٌ عظيمةٌ؛ هي المُنجِية من النَّار لِمن حقَّقها، وكلُّ الدِّين ينبني عليها من أوَّله إلى آخره، ودعوة الرُّسل والكتب المنزَّلة

كلُّها مبنيَّةٌ على هذه الكلمة.

خامسًا: تفسير أهل السُّنَّة والجماعة:

أنَّ (لا إلـه إلَّا الله) معناها: (لا معبودَ بحقٍّ إلَّا الله)؛ لأنَّ المعبودات كثيرةٌ، ولكن المعبود بحقٍّ هو الله وحده، وما سـواه فعبادته باطلةٌ؛ كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحجُّ].

قال الشَّارح وفَّقه الله:

نبَّه المصـنِّف وَفَّقَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة إلى معنى (الألوهيَّة) المُثبَتة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنَّها العبادة.

فمعنى قولك: (لا إله إلَّا الله): يعني لا معبودَ حقٌّ إلَّا الله؛ فـــ(الإلهيَّة) - وهي العبادة - كلُّها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد غلط كثيرٌ من الغالطين في هذا الباب؛ ففسَّـروا هذه الكلمة بغير تفسيرها الصَّحيح الَّذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، وقد ذكر المصنِّف وَفَّقَهُ ٱللَّهُ **طوائفَ أربعَ ممَّن غلط في هذا الباب:**

* **فالطَّائفة الأولى: (أهل وحدة الوجود)**، من أتباع ابن عَربيٍّ وابن سـبعين وابن الفارض والحلَّاج، ممَّن يزعمون أنَّ الله هو الوجود المُطلَق؛ فكلُّ ما في الوجود هو الله؛ فمن عبد الصَّـنم فقد عبد الله، ومن عبد الحجر فقد عبد الله، ومن عبد الشَّـجر فقد عبد

الله، ومن عبد الملائكة فقد عَبَد الله)!

كما قال كبيرهم الَّذي علَّمهم الدَّجَل:

الـرَّبُّ عَـبْـدٌ، وَالْـعَـبْـدُ رَبٌّ   يَا لَيْتَ شِـعْرِي مَنِ الْمُكَلَّفْ؟!

فإنَّهم يزعمون أنَّه لا ثاني في الوجود، ولا خالقَ ولا مخلوقٌ؛ بل الوجود كلُّه واحدٌ؛ فمَن عبد شيئًا في الوجود كان موحِّدًا، ومَن أثبت الفرق بين الخالق والمخلوق كان مشركًا!! تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا عظيمًا.

* **والطَّائفة الثَّانية**: (علماء الكلام)؛ الَّذين غلبت على علومهم الفلسفة والمنطق والجدل، وأوقعهم اتِّباع العقل وتعظيمه إلى الكلام في الشَّريعة بما لم يأذن به الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فزعموا أنَّ معنى (لا إله إلَّا الله): لا قادر إلَّا الله، أو لا خالق إلَّا الله، أو لا رازقَ إلَّا الله!

وعَزُب عن عِلم هؤلاء أنَّ أهل الجاهليَّة الأولى كانوا يُقِرُّون بأنَّ الرَّازق الخالق المدبِّر هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فعندهم لا يحيي ولا يميت إلَّا الله، ولا يرزق ولا يمنح إلَّا الله، وهذا هو توحيد الرُّبوبيَّة، وليس توحيدًا للألوهيَّة والعبادة.

* **والطَّائفة الثَّالثة**: (الجهميَّة والمعتزلة) من نُفاة الأسماء والصِّفات على حدٍّ سواءٍ، أو نفاة الصِّفات فقط؛ الَّذين يزعمون أنَّ التَّوحيد ما هم عليه من النَّفي وتعطيل الله عَزَّوَجَلَّ عمَّا يجب له من الكمالات!!

فالمعتزلة يذكرون في أصولهم الخمسة: التَّوحيد، إلَّا أنَّ توحيد المعتزلة ليس توحيد المؤمنين؛ فإنَّ توحيدَ المعتزلة نفيُ الصِّفات عن ربِّ العالمين؛ فهم يزعمون أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا سمعَ له، ولا بصرَ له، ولا علمَ له، ولا حياةَ له، ولا يدَ له! تعالى الله عَزَّوَجَلَّ

عن قولهم.

فإنَّ غاية قولهم تعطيلُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن كمالاته، حتَّى يؤول قولهم ذلك بهم إلى عدِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدمًا؛ كما قال بعض السَّلف: «المعطِّل يعبد عدمًا، والمشبِّه يعبد صنمًا، والموحِّد يعبد إلهًا واحدًا صمدًا».

* **والطَّائفة الرَّابعة**: طوائفُ من المعجبين بالأفكار الحديثة المنسوبة إلى الإسلام من أهل التَّحزُّب والتَّفرُّق؛ الَّذين يزعمون أنَّ معنى (الإلهيَّة) أنَّها الحاكميَّة، وأنَّ (لا إله إلَّا الله): يعني لا حاكميَّة إلَّا لله!! وهذا معنًى باطلٌ.

فإنَّ القرآن والسُّنَّة شاهدان بأنَّ الإلهيَّة هي العبادة، والحاكميَّة هي جزءٌ ممَّا يجب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن الحقَّ الأكبر الَّذي أُرِيد من الخلق هو عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولمَّا كان فهم هؤلاء الأعظم لهذه الكلمة أنَّه لا حاكميَّةَ إلَّا لله، سهَّل عليهم هذا الفهم أن يمتطوا مطيَّةَ كلِّ مخالِفٍ ولو كان على غير الإسلام؛ ليتوصَّلوا به إلى مقصودهم من دعوى إعادة حكم الله عَزَّوَجَلَّ في الأرض؛ فسَهُل عليهم التَّآلف والتَّعاون مع اليهود والنَّصارى وأهل البدع والضَّلال؛ للوصول إلى هذه الغاية، وصار يدخل فيهم أهل الأهواء المُضِلَّة والبدع المُرْدِية؛ بل الأديان الباطلة، فربَّما كان في مجالسهم من هو يهوديٌّ أو نصرانيٌّ؛ لأنَّهم يستعينون به - فيما يزعمون - على إعادة الحكم لله عَزَّوَجَلَّ في هذه الأرض!!

وما المنفعة من حكمٍ لا يكون المعبود فيه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! وكيف يُرجَى النَّصر والتَّأييد في إعادة الحكم إلى هذه الأرض - فيما يزعمون - ممَّن يعظِّم غير الله؟!

وقد صنَّف بعض معظِّميهم كتبًا تنضح بالشِّرك في الإلهيَّة، وممَّا يَعجب له الإنسان

أنَّ صـــاحب هذا الكتاب كان جدُّه من أكابر دعاة الموحِّدين من علماء جُدَّة، ثمَّ تحوَّل إلى خارج هذه البلاد وتردَّت حال ذرِّيَّته من بعده، حتَّى صـــار فيهم من يقع في شـــرك الإلهيَّة.

ولكنَّ التَّوحيد لا يُحفَظ بالأنســـاب والأحســـاب؛ ولكنَّه يُحفَظ بالفهم لكلام الله وكلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فهذه الطَّوائف الزَّائغة كلُّها قد فسَّـــرت (التَّوحيد والإلهيَّة) على خلاف ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

❊ **أمَّا أهل السُّـــنَّة والجماعة** - من أهل الدِّين الصَّـــحيح والفطرة السَّـــليمة - فهم يعلمون أنَّ تفسير هذه الكلمة: أنَّه لا معبود حقٌّ إلَّا الله.

وما أجلى هذا التَّفسـير وأوضـحه وأسـهله وأسـلسـه وأجلاه وأبينه لِمن عقل آيات القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة! فهو يفهم أنَّ هذه الآيات والأحاديث تدلُّ جميعها على أنَّ الإلهيَّة هي العبادة، وأنَّ معنى (لا إله إلَّا الله): لا معبودَ حقٌّ إلَّا الله.



قال المصنِّف وفقه الله:

(فاعلم أنَّ هذه الألوهيَّة هي الَّتي تسمِّيها العامَّة في زماننا: السِّرَّ والولاية).

أي يعتقدونها في الأولياء، ويقولون: (إنَّ هذا الوليَّ فيه سرٌّ وفيه ولايةٌ)، فيتقرَّبون إليه بالذَّبح والنَّذر والدُّعاء والاستغاثة؛ لأنَّه فيه سرٌّ وفيه ولايةٌ.



قال الشَّارح وفقه الله:

نبَّه المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إلى غلط الغالطين في باب الألوهيَّة؛ الَّذين جعلوا لغير الله عَزَّوَجَلَّ حظًّا من الألوهيَّة، وسمَّوها (السِّرَّ، والولاية).

ومقصودُهم أنَّ هذا المعظَّم - من الأولياء الَّذين يدعونهم - له سرٌّ، يعني قدرةً على الضُّرِّ والنَّفع!

ومن هنا مُنِع الدُّعاء لأحدٍ بقول: (قدَّس الله سرَّه)؛ لأنَّه محمولٌ على هذا المعنى[1].



(١) انظر - لبيانٍ أوضحَ وأوسعَ لحكم التَّلفُّظ بهذه الكلمة -: «سلالةٌ في الدُّعاء بتقديس السِّرِّ والرُّوح» لشيخنا.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(والإله: معناه الوليُّ الَّذي فيه السِّرُّ، وهو الَّذي يسمُّونه (الفقير والشَّيخ)).

الصُّوفيَّة يُسمُّون العابدَ (الشَّيخ)؛ يعني شيخ الطَّريقة الَّذي يأخذون عنه دينهم، والَّذي يأخذ عن شيخ الطَّريقة يسمُّونه (المريد)؛ ويكون مع شيخه كالميِّت بين يدي الغاسل، ليس له أن يعترض بشيءٍ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من آثار هذه الدَّعوى في جعل العبوديَّة لغير الله عَزَّوَجَلَّ من الأولياء وتسميتها (السِّرَّ والولاية): أنَّ هؤلاء سمَّوا معظِّميهم بأسماءٍ تدلُّ على مقصودهم؛ كتسميتهم (الوليِّ، والفقير، والشَّيخ) على إرادة هذا المعنى، فـ(الوليُّ والشَّيخ، والفقير) عندهم هو من له سرٌّ؛ أي قدرةٌ على الضَّرِّ والنَّفع.

وعلى قَدر قوَّة هذا السِّرِّ يكون كمال حاله، ويتعلَّق بذلك كمال الإقبال عليه؛ ولذلك ترى مِن خشوعهم وخوفهم عند هؤلاء المعظَّمين الشَّيء العظيم! فهم يخافون منهم أكثر من خوفهم من الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأذكر أنَّني مرَّةً قمتُ في بعض المقامات، فتكلَّمت عمَّا يُسمِّيه بعض النَّاس بـ(السَّيِّد) ويعتقدون أنَّه يضرُّ وينفع؛ فقام بعض النَّاس من المسجد الَّذي تكلَّمتُ فيه، وأُخبِرت فيما بعدُ بأنَّ هذا الرَّجل قام لأنَّه خاف أن تنزل عليهم سَخطة ذلك الوليِّ وذلك السَّيِّد إذ تُعرِّض لجَنابه!

وكلُّ هذا من العمى والضَّـلالة الَّتي صـار إليها النَّاس؛ حتَّى جعلوا لغير الله حقًّا من حقِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(وتُسمِّيه العامَّة (السَّيِّد)، وأشباه هذا).

وهم يسمُّون شيخهم (السَّيِّد)، ويسمُّونه (الشَّيخ)؛ فلا بدَّ أن تبايعه وتسلِّم له أمرك؛ فلا تعترض ولا تخالف في شيءٍ، وإلَّا فإنَّك لا تكون مريدًا معه!



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

من تلاعب الشَّيطان بهؤلاء من أتباع الشَّياطين: أنَّهم جعلوا لأشياخهم نفوذًا شاملًا فيهم؛ فأمروا أن يكون المريد بين يدي شيخه كالميِّت بين يدي غاسله.

أمَّا أهل التَّوحيد فلم تزل وصيَّتهم بأن يتلقَّى المتلقِّي عن شيخه مع تمييز قوله؛ فلم يكن أئمَّة الهدى رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يأمرون النَّاس بأن يأخذوا أقوالهم بدون تمييزٍ؛ بل كانوا يأمرون النَّاس بعَرضها على الكتاب والسُّنَّة، وكانوا يقولون لهم: (ما وجدتُم من قولنا موافقًا للكتاب والسُّنَّة فخذوه، وما وجدتُموه مخالفًا للكتاب والسُّنَّة فردُّوه)؛ كما جاء هذا المعنى عن أئمَّة المذاهب المتبوعة الأربعة: أبي حنيفةَ، ومالكٍ، والشَّافعيِّ، وأحمدَ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

أمَّا هؤلاء فإنَّهم يجعلون لشيخ الطَّريقة التَّصرُّفَ الكاملَ في مُريده! فليس للمُريد أن يعترض ولا يعارض! وزعموا أنَّ من قال لشيخه: (لِمَ؟) لم يُفلِح؛ لأنَّه تجرَّأ على مقام السِّيادة والمشيخة! ولذلك تجد هؤلاء المريدين بين أيدي أشياخهم أُلعوبةً يتلاعبون فيها، ومَن عرف أخبارهم وأحوالهم رأى صِدق هذا الأمر، وكيف أنَّ الشَّيخ يفعل ما شاء بهؤلاء!

وقد ذكر لي أحد المشـــايخ في بعض البلاد العربيَّةَ أنَّ بعض هؤلاء لا يدخل على زوجه الَّتي نكحها حتَّى يتقدَّمه شـــيخه بين يديه، وأنَّ هذا ثبت في المحاكم عندهم من رجلٍ وقع له هذا الأمر ممَّن دخل هذه البلاد وهو من خارجها، لكن أصـــابه ضـــررٌ من شـــيخه، فيتقدَّمه شـــيخه فيدخل على هذه الزَّوجة، ويأتيها كما يأتي الرَّجل امرأته؛ لتحلَّ بها البركة، ثمَّ بعد ذلك لا يحول بينها وبين زوجها!!

فانظر إلى عِظم قبح فعل هؤلاء؛ حتَّى آل بهم الأمر إلى تســـويغ مثل هذه الأفعال الَّتي يُنفَر منها حتَّى عند الكافر المحض!



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(وذلك أنَّهم يظنُّون أنَّ الله جعل لخواصِّ الخَلق عنده منزلةً يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم، ويرجوهم ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطةً بينه وبين الله).

يقولون: إنَّ الله جعل من الخَلق خواصَّ، يجوز الالتجاء إليهم ودعاؤهم والاستغاثة بهم على أنَّهم شفعاءُ عنده، ويقرِّبون إليه!

هذا الَّذي هم عليه، لا يقولون: إنَّهم شركاءُ لله؛ بل يقولون: شفعاءُ عنده، ويُقرِّبون إليه؛ لأنَّ الله اختارهم لصلاحهم وتقواهم، فصاروا وسائطَ بين العباد وبين الله! تعالى الله عمَّا يقولون.

ولذلك يتقرَّبون إليهم بالعبادات أحياءً وأمواتًا؛ ويقولون: إنَّ المتقرِّب إليهم مثل المتقرِّب إلى الله، مَن يتقرَّب للشَّيخ يتقرَّب لله!! ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾[يونس:١٨].

لعب الشَّيطان بهم إلى هذا الحدِّ!



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

من شبهات هؤلاء: أنَّهم يقولون: إنَّنا لا نعبد غير الله عَزَّوَجَلَّ، ولا نشرك به، ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعل من بعض خَلقه خواصًّا؛ فنحن نفزع إلى هؤلاء الخواصِّ شفعاءَ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

وهذا قول أهل الجاهليَّة الأولى حذو القُذَّة بالقُذَّة؛ فإنَّ أهل الجاهليَّة الأولى كانوا

يقولون: (﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[يونس:١٨]).

إلَّا أنَّ الفرق بين أهل الجاهليَّة الأولى وهؤلاء: أنَّ أهل الجاهليَّة الأولى كانت عقولهم صحيحةً وأفهامهم كاملةً؛ فأبوا أن يُقِرُّوا بـ (لا إله إلَّا الله) وهم يَدعون غير الله، وأمَّا هؤلاء فإنَّهم يقولون: (لا إله إلَّا الله) في الإصباح والإمساء، ولكنَّهم يدعون غير الله ويرجون غير الله! فأين هؤلاء من صِدق دعواهم؟! بل قولهم قول أهل الجاهليَّة الأولى باتِّخاذ شفعاءَ وسائطَ بينهم وبين الله عَزَّوَجَلَّ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(فالَّذين يزعم أهل الشِّرك في زماننا أنَّهم وسائطهم هم الَّذين يُسمِّيهم الأوَّلون (الآلهة، والواسطة، والإله)).

المشركون الأوَّلون يعبدونهم ويُسمُّونهم (آلهةً)؛ ولذلك لمَّا قال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ إلى قوله: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾[ص:٥،٦]، سمَّوها (آلهةً)، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[نوح].

الأوَّلون سمَّوهم (آلهةً)، والمتأخِّرون الَّذين يدَّعون الإسلام سمَّوهم (وسائطَ، وشفعاءَ) فقط، ولم يسمُّوهم (آلهةً)، والمعنى واحدٌ وإن اختلف اللَّفظ؛ لأنَّ العبرة بالحقائق، وليست العبرة بالألفاظ والمصطلحات.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

عرفتَ بما سبق أنَّ أهل الجاهليَّة الأولى والأخرى أنَّهم جميعًا قد اتَّخذوا شفعاءَ من دون الله.

إلَّا أنَّهم افترقوا في أنَّ الأوَّلين سمَّوهم (آلهةً)، وأمَّا المتأخِّرون فإنَّهم سمَّوهم (وسائطَ ووسائلَ) تُوصِل إلى الله.

(وليست العبرة بالألفاظ) والمباني؛ بل (العبرة بالحقائق) والمعاني؛ فإنَّ المعنى الَّذي أراده هؤلاء وهؤلاء هو معنًى واحدٌ، وهو اتِّخاذ شفعاءَ عند الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(وقول الرَّجل: (لا إله إلَّا الله) إبطالٌ للوسائط).

(لا إله إلَّا الله) تُبطِل كلَّ ما يُعبَد من دون الله؛ سواءً سُمِّي (واسطةً) أو (شفيعًا) أو سُمِّي (آلهةً)؛ فـ(لا إله إلَّا الله) تُبطِل كلَّ ما يُعبَد من دون الله بأيِّ اسمٍ سُمِّي.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

من آثار (لا إله إلَّا الله) - ممَّا انتظم في معناها -: أنَّها تُبطِل عبادة كلِّ ما يُعبَد من دون الله عَزَّوَجَلَّ من شجرٍ أو حجرٍ أو وليٍّ أو مَلكٍ أو رسولٍ؛ فإنَّ حقيقة (لا إله إلَّا الله) ألَّا يكون هناك معبودٌ حقٌّ تُصرَف له العبادة إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، وما عداه فإنَّه معبودٌ باطلٌ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

(وإذا أردتَ أن تعرف هذا معرفةً تامَّةً **فذلك بأمرين**:

الأوَّل: أن تعرف أنَّ الكفَّار الَّذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتلهم وأباح أموالهم واستحلَّ نساءهم كانوا مُقِرِّين لله سُبْحَانَهُ بتوحيد الرُّبوبيَّة؛ وهو أنَّه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبِّر الأمور إلَّا الله وحده؛ كما قال تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٣١]).

عُبَّاد القبور الآن يقولون: ما دام أنَّه اعترف أنَّ الله هو الخالق الرَّازق المحيي المميت المدبِّر فإنَّه مسلمٌ!

إذن؛ ما معنى (لا إله إلَّا الله)؟! ليس لها معنًى عندهم؛ لأنَّ المشركين يقولون هذا الَّذي يقوله هؤلاء.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

من دلائل جهل متأخِّري المشركين: أنَّهم زعموا أنَّ من اعتقد أنَّ الله هو الخالق الرَّازق المحيي المميت المدبِّر فإنَّه مسلمٌ! لأنَّهم يفسِّرون هذه الكلمة بأنَّها (لا خالقَ أو لا قادرَ أو لا رازقَ إلَّا الله)! وهذا من أبلغ الجهل؛ فإنَّ المشركين الأوَّلين من أهل الجاهليَّة كانوا يُقِرُّون بأنَّ الله هو الخالق الرَّازق المحيي المميت المدبِّر، ومع هذا فإنَّ ما شهدوا به لم يُدخِلهم في الإسلام؛ بل أباح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أموالهم،

واستحلَّ نساءهم، وقاتلهم، مع كونهم مُقِرِّين بتوحيد الرُّبوبيَّة في الجملة؛ إعلانًا بأنَّ المراد من الخَلق ليس توحيد الرُّبوبيَّة؛ فليس المراد منك أن تعلم أنَّ الله هو الخالق فقط، أو تعلم أنَّ الله هو الرَّازق فقط، أو تعلم أنَّ الله هو المحيي فقط؛ بل المراد أن تعلم أنَّ الله هو الخالق الرَّازق المحيي الَّذي له الألوهيَّة، وله جميع العبادة.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(وهذه مسألةٌ عظيمةٌ جليلةٌ مهمَّةٌ؛ وهي أن تعرف أنَّ الكفَّار الَّذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاهدون بهذا كلِّه ومُقِرُّون به، ومع هذا لم يُدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يُحرِّم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضًا يتصدَّقون ويحجُّون ويعتمرون ويتعبَّدون ويتركون أشياءَ من المحرَّمات خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ).

هي مسألةٌ عظيمةٌ ومهمَّةٌ جدًّا، وقلَّ مَن يعتني بها؛ لأنَّ هؤلاء يقولون: مَن أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة صار مسلمًا! وكان المشركون في الجاهليَّة يُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة، وعندهم عباداتٌ - كالصَّدقة والحجِّ -؛ فهم يحجُّون ويعتمرون ويقولون: (لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت إلَّا الله)، يعترفون بتوحيد الرُّبوبيَّة ويتعبَّدون ببعض العبادات، ولكن لمَّا كانوا لا يُخلِصون العبادة لله وحده - بل يعبدون الله ويعبدون معه غيره - صاروا مشركين.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

هذه الجملة بمعنى القول المتقدِّم من أنَّ المشركين كانوا يُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة، ومع ذلك لم يُدخلهم إقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة في الإسلام.

فمَن زعم أنَّ المُقِرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة يُحكَم له بالإسلام؛ فقد زلَّ وضلَّ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(ولكن **الأمر الثَّاني** هو الَّذي كفَّرهم وأحلَّ دماءهم وأموالهم؛ وهو أنَّهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهيَّة وتوحيد الإلهيَّة).

لأنَّ هذا هو المطلوب؛ وهو توحيد الألوهيَّة؛ أي إفراد الله بالعبادة، وليس المطلوب إفراد الله بتوحيد الرُّبوبيَّة فقط؛ لا بدَّ من الأمرين:

- لا بدَّ من توحيد الرُّبوبيَّة؛ وهو مستلزمٌ لتوحيد الألوهيَّة.
- ولا بدَّ من توحيد الألوهيَّة؛ وهو متضمِّنٌ لتوحيد الرُّبوبيَّة، لا ينفك بعضهما عن بعضٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه الجملة أنَّ الأمر العظيم الَّذي يُراد من العبد هو توحيد الألوهيَّة، وهو الَّذي وقع فيه النِّزاع بين الأنبياء وأقوامهم.

ولم يكتفِ النَّبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الجاهليَّة بإيمانهم بربوبيَّة الله عَزَّ وَجَلَّ؛ بل دعاهم إلى الإيمان بألوهيَّته، فلمَّا أَبوا قاتلهم رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسبى نساءهم، واستحلَّ أموالهم.

فالعبد لا يدخل الإسلام بمجرَّد أن يعتقد أنَّ الله هو الرَّبُّ الخالق الرَّازق؛ بل لا بدَّ من الإقرار بتوحيد الألوهيَّة؛ وهو إفراد الله بالعبادة كلِّها.



قَال المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

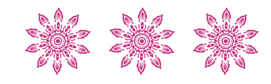
(وهو ألَّا يُدعَى ولا يُرجى إلَّا الله وحده لا شريك له).

أي وتوحيد الألوهيَّة يتضمَّن جميع العبادات؛ فلا يُصرَف لغير الله عَزَّوَجَلَّ منها شيءٌ؛ لأنَّه هو المستحقُّ لها؛ فمن صرف منها شيئًا لغير الله فإنَّه مشركٌ ولو كان يقول: (لا إله إلَّا الله)؛ بل لو كان يعبد الله بأنواعٍ مِن العبادات، ما دام لم يخلِص لله فيها كلِّها فليس بمسلمٍ.



قَال الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنَّ حقيقة (توحيد الألوهيَّة) هي إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة؛ فهو المستحقُّ لها؛ فلا يُدعَى ولا يُرجَى إلَّا الله وحده لا شريك له؛ فالخوف لله، والذَّبح لله، والنَّذر لله، وسائر العبادات كلُّها لله عَزَّوَجَلَّ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(ولا يُسـتغاث بغيره، ولا يُذبَح لغيره، ولا يُنذَر لغيره، ولا لمَلكٍ مُقرَّبٍ ولا نَبيٍّ مرسَلٍ؛ فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك).

أي مَن فعل ذلك فإنَّه يكفر ولو كان يقول: (لا إله إلَّا الله)؛ لأنَّه لم يحقِّقها، فهو متناقضٌ؛ كيف يقول: (لا إله إلَّا الله) ويذبح لغيره؟! كيف يقول: (لا إله إلَّا الله) ويستغيث بغير الله من الأموات والغائبين والجنِّ والشَّياطين؟! كيف يقول: (لا إله إلَّا الله) وينذر لغير الله؟! هذا تناقُضٌ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

نبَّه المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إلى أنَّ من صرف شيئًا من العبادات لغير الله عَزَّوَجَلَّ يتقرَّب إليه بذلك فإنَّه كافرٌ مشركٌ؛ فمن ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو توكَّل على غير الله؛ فقد وقع في الكفر والشِّرك، وكيف يصحُّ منه قول: (لا إله إلَّا الله) وهو يصرف العبادة لغير الله؟!

ولكنَّ قلَّة العلم وغلبة الجهل هي الَّتي سهَّلت على كثيرٍ من النَّاس وهوَّنت عليهم أن يقولوا بألسنتهم: (لا إله إلَّا الله) ويعملوا من الأعمال ما يناقض هذه الكلمة.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(وتمام هذا أن تعرف أنَّ المشـــركين الَّذين قاتلهم رســـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يدعون الصَّالحين؛ مثل: الملائكة، وعيسى وأمَّه، وعُزَيرًا، وغيرهم من الأولياء؛ فكفروا بهذا مع إقرارهم بأنَّ الله سُبْحَانَهُ هو الخالق الرَّازق المدبِّر).

المشـــركون الأوَّلون ليســـوا كلُّهم يعبدون الأصـــنام؛ بل هم متفرِّقون في عبادتهم؛ فمنهم من يعبد الأصـــنام، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصَّـــالحين، والرَّســـول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلهم كلَّهم ولم يُفرِّق بينهم، ولم يقل: (ما أقاتل إلَّا الَّذي يعبد الأصـــنام) ويترك الَّذين يعبدون عُزَيرًا ويعبدون المســـيح ويعبدون الصَّالحين، ما فرَّق بينهم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهؤلاء القبوريُّون اليوم يقولون: الشِّرك: عبادة الأصنام، وعبادة الأولياء تَقرُّبٌ إلى الله وتوسُّلٌ إلى الله، ليست بشِركٍ؛ لأنَّ الشِّرك عبادة الأصنام فقط!

يا ســـبحان الله! الرَّســـول قاتل الجميع؛ الَّذين يعبدون الأصـــنام، والَّذين يعبدون الملائكة، والَّذين يعبدون المســـيح، والَّذين يعبدون عُزَيرًا، والَّذين يعبدون الأولياء والصَّالحين؛ لم يُفرِّق بينهم؛ لأنَّه ليس بينهم فرقٌ في الحقيقة.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

من شـــبهـات متـأخِّري المشـــركين: أنَّهم يزعمون أنَّ بينهم وبين الأوَّلين فرقًـا؛ فيقولون: إنَّ الأوَّلين كانوا يعبدون الأصـــنام، ونحن لا نعبد الأصـــنام، ولكنَّنا نعتقد في

رجالٍ صالحين أنَّ لهم رُتبةً وحَظوةً عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ فنحن ندعوهم ونتوسَّل بهم!

وغَفَل هؤلاء عن أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يخرج إلى قومٍ يعبدون الأصنام فقط؛ بل خرج صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قومٍ منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد المسيح وأمَّه، ومنهم مَن يعبد عُزَيرًا؛ فكفَّرهم النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعًا، وقاتلهم جميعًا ولم يفرِّق بينهم.

فليس الأمر متعلِّقًا بحجرٍ يُصرَف إليه شيءٌ من العبادة، أمَّا إذا صُرِفت هذه العبادة لوليٍّ أو صالحٍ أو ملَكٍ أو نبيٍّ لم يكن في ذلك غَضَاضةٌ!! بل الشَّأن أنَّ العبادة كلَّها لله؛ فمَن صرف منها شيئًا لغير الله عَزَّوَجَلَّ - كائنًا من كان - فهو مشركٌ كافرٌ، ولو صرف هذه العبادة لخير الخلق محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنَّ العبادة كلَّها لله؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجنّ].



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(إذا عرفتَ هذا عرفتَ معنى (لا إله إلَّا الله)، وعرفت أنَّ مَن نَخَى نبيًّا أو مَلَكًا، أو نَدَبه، أو استغاث به؛ فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الَّذي قاتلهم عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن قال قائلٌ من المشركين: نحن نعرف أنَّ الله هو الخالق الرَّازق المدبِّر، لكن هؤلاء الصَّالحون مقرَّبون، ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشَّفاعة، وإلَّا فنحن نفهم أنَّ الله هو الخالق الرَّازق المدبِّر!

فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهلٍ وأمثاله).

الشَّيخ يخاطب العلماء والعوامَّ، **ومعنى (نخاه) في العامِّيَّة**: أي استنجد به.

يُقال لِمن ينفي أنَّ دعاء الصَّالحين شركٌ ويقول: المراد به التَّوسُّل به إلى الله! يُقال له: كلامك هذا هو مذهب أبي جهلٍ وأبي لهبٍ وأمثالهم؛ لأنَّهم يقولون: لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يدبِّر إلَّا الله، ونحن نتَّخذ هذه الآلهة لتقرِّبنا إلى الله زُلفى؛ كما قال الله عنهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾[يونس:١٨].

(فإنَّهم يدعون عيسى وعُزَيرًا والملائكة والأولياء؛ يريدون بذلك كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[الزُّمر:٣]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾[يونس:١٨]).

المشركون الأوَّلون يريدون ممَّن يعبدونهم مع الله التَّوسُّط لهم فقط، لا يقولون:

إنَّهم يخلقون ويرزقون؛ وإنَّما يقولون: إنَّ هؤلاء شفعاءُ لنا عند الله، يقولون: إنَّ هذا تعظيمٌ لله.



قال الشَّارح وفقه الله:

ذكر الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هنا الدَّعوى المتقدِّم ذِكرها عن المشركين المتأخِّرين القائلين بأنَّهم يثبتون الرُّبوبيَّة لله؛ فيُقِرُّون بأنَّه الخالق الرَّازق المدبِّر، ويعتقدون أنَّ لهؤلاء المعظَّمين رتبةً عند الله عَزَّوَجَلَّ فيَدخلون على الله عَزَّوَجَلَّ بهم؛ فذكر المصنِّف أنَّ هذه الدَّعوى هي قول مَن سلف من المشركين الأوَّلين؛ فإنَّ المشركين الأوَّلين مُقِرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة؛ وإنَّما أرادوا بما عبدوا من الأصنام وغيرها أن تكون شافعةً لهم عند الله، مُقَرِّبةً لرضاه.

فدعوى القوم واحدةٌ، وإن اختلفت عباراتهم.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(فإذا تأمَّلتَ هذا تأمُّلًا جيِّدًا، وعرفتَ أنَّ الكفَّار يشهدون لله بتوحيد الرُّبوبيَّة - وهو تفرُّده بالخلق والرَّزق والتَّدبير -، وهم يَنْخَون عيسى والملائكة والأولياء - يقصدون أنَّهم يُقرِّبوهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده -، وعرفتَ أنَّ من الكفَّار - خصوصًا النَّصارى منهم - من يعبد الله اللَّيل والنَّهار، ويزهد في الدُّنيا، ويتصدَّق بما دخل عليه منها معتزلًا في صومعةٍ عن النَّاس).

الرُّهبان من النَّصارى يتعبَّدون اللَّيل والنَّهار ويبكون، ولكن يقولون: المسيح ابن الله، أو إنَّ الله هو المسيح ابن مريمَ، أو ثالث ثلاثةٍ! وهم يبكون ويتعبَّدون ولا ينفعهم هذا؛ لأنَّهم ما أخلصوا العبادة لله عَزَّوَجَلَّ؛ فمثلهم عُبَّاد القبور اليوم.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حال رهبان النَّصارى المشابهَ لحال عبَّاد القبور اليوم؛ فإنَّ الرُّهبان من النَّصارى عبدوا المسيح من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم في عبادتهم - الَّتي يزعمون أنَّها لله - يبكون ويتزهَّدون، ومع ذلك لا ينفعهم هذا؛ لأنَّهم لم يعبدوا الله عَزَّوَجَلَّ وحده؛ بل أشركوا معه غيرَه.

وهكذا كانت بنو إسرائيلَ؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [التَّوبة:٣١].

ومثلهم عبَّاد القبور؛ الَّذين يقومون باللَّيل، ويصومون في النَّهار، وينفقون الصَّدقات، ويتقرَّبون بأنواع القُربات، ولكنَّهم يشركون بربِّ الأرض والسَّماوات! فهم يتوجَّهون بدعائهم وإراداتهم ومطلوباتهم إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلا تغني عنهم عبادتهم شيئًا، كما لم تُغن عن رهبان النَّصارى.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(وهو مع هذا كافرٌ عدوٌّ لله، مخلَّدٌ في النَّار؛ بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء؛ يدعوه أو يذبح له أو ينذر له = تبيَّن لك كيف صفة الإسلام الَّذي دعا إليه نبيُّك محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتبيَّن لك أنَّ كثيرًا من النَّاس عنه بمعزلٍ، وتبيَّن لك معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**»[1].

فالله الله يا إخواني؛ تمسَّكوا بأصل دينكم وأوَّله وآخره، وأُسُّه ورأسه (شهادة ألَّا إله إلَّا الله)، واعرفوا معناها، وأَحِبُّوها وأَحِبُّوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطَّواغيت، وعادوهم وأَبغِضوهم، وأَبغِضوا من أحبَّهم أو جادل عنهم أو لم يُكفِّرهم، أو قال: (ما عليَّ منهم)، أو قال: (ما كلَّفني الله بهم)، فقد كذب هذا على الله وافترى؛ فقد كلَّفه الله تَعَالَىٰ بهم، وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.

فالله الله يا إخواني؛ تمسَّكوا بذلك؛ لعلَّكم تلقون ربَّكم وأنتم لا تشركون به شيئًا.

---

(١) علَّق المعتني بالكتاب في النُّسخة المطبوعة: (أخرجه أحمدُ وابن وضَّاحٍ بإسنادٍ ضعيفٍ، وله شاهدٌ من حديث سعد بن أبي وقَّاصٍ عند أحمدَ)، فقال شيخنا:

هذا ممَّا يُعجَب منه؛ لأنَّ هذا الحديث ثابتٌ في «صحيح مسلمٍ» من حديث أبي هريرةَ، ورُوِي أيضًا بأسانيدَ أخرى صحيحةٍ من حديث غيره.

ولذلك أُنبِّه هاهنا إلى أنَّه ينبغي أن يُفرَّق - في الكتب الأخيرة الَّتي صدرت للمشايخ؛ كالشَّيخ ابن عثيمين، والشَّيخ صالح الفوزان - بين ما ذكره الشَّيخ وما يذكره المعتنون بكتب الشَّيخ؛ فإنَّ كلام الشَّيخ كلام عالمٍ يُعوَّل عليه، وأمَّا كلام المعلِّقين ففي مواضعَ كثيرةٍ منه فيه نظرٌ، سواءً هذا الكتاب أو غيره من الكتب.

اللَّهمَّ توفَّنا مسلمين، وألحِقنا بالصَّالحين).

الإسلام الصَّحيح غريبٌ اليوم، أمَّا الإسلام المدَّعى فالمسلمون اليوم يزيدون على المليار، ولكنَّ الإسلام الصَّحيح غريبٌ؛ إذ لو كان هذا المليار إسلامُهم صحيحٌ لم يقف أمامهم أحدٌ من العالم.

فاليهود - الَّذين هم إخوان القردة والخنازير، الَّذين ضُربت عليهم الذِّلَّة والمَسكنة - الآن هم مُسيطِرون على بلاد المسلمين، والمسلمون الَّذين كانوا مع النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ في بدرٍ كان عددهم ثلاثمائةٍ وبضعة عشر، وماذا صنعوا؟! فالصَّحابة بالنِّسبة لأهل الأرض كم هم؟! ومع هذا هم فتحوا الأمصار، وأسقطوا كسرى وقيصرَ، وسادوا العالَم كلَّه؛ لأنَّهم مسلمون الإسلامَ الصَّحيح، ما هو إسلامٌ ادِّعائيٌّ.



قَال الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

هذه الجملة من كلام هذا العالِم شاهدةٌ بصحَّة ما تقدَّم ذكره - في درس «كشف الكُربة» للحافظ ابن رجبٍ - من أنَّ كلمة (الإسلام) في حديث: («**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا**») هي للعهد، («**وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**») يعني الإسلام الصَّحيح، وليس كلُّ إسلامٍ مدَّعى؛ كما هي عليه الحال اليوم.

فمن ظنَّ أنَّ (الغُربة) معنًى يشمل جميع المسلمين فقد أخطأ في فهم الشَّريعة؛ بل هي معنًى يختصُّ ببعض المسلمين؛ وهم الَّذين ثبتوا على ما كان عليه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ وأصحابه.

فـــ (الغرباء، والطَّائفة المنصـورة، والفرقة النَّاجية) كلُّها بمعنًى واحدٍ؛ وهم الَّذين ثبتوا على ما كان عليه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه.

ولو كان المسـلمون اليوم على هذا الدِّين الصَّـحيح لَما وقف أعداؤهم من حُثالة العالَم من إخوان القردة والخنازير مع قِلَّتهم وذلَّتهم، وضـربوا عليهم الأمور العظيمة، ومنعوهم من اسـتقامة أحوالهم في بلادهم؛ فضـلًا عمَّا كان بجوارهم، ولكنَّ النَّاس إذا ابتعدوا عن الإسلام الصَّحيح سلَّط الله عليهم أراذل الخَلق.

وممَّا يُنبَّه إليه: حسن تعابير العلماء، وسلامتها من الخطأ.

فإنَّ المصنِّف هاهنا لم يقل: (أبناء القردة والخنازير)، أو: (أحفاد القردة والخنازير) كما يقوله بعض النَّاس؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يمسـخ شـيئًا إلَّا قطع نسـله - كما ثبت بذلك الحديثُ -، واليهود ليسـوا من نسـل من مُسِـخ من الخنازير والقردة؛ وإنَّما هم إخوان تلك الطَّائفة منهم الَّتي مُسِخت.

فـالتَّعبير الصَّـحيح أن يُقـال: (**إخوان القردة والخنـازير**)، ولا يُقـال: (أبنـاء القردة والخنازير)، ولا (أحفاد القردة والخنازير).

ونظير هذا ما وقع في كلام الشَّيخ عبد الرَّحمن بن سِعديٍّ في عدوله عن التَّسمية الَّتي راجت على لسان أهل الفكر والثَّقافة من قولهم: (الهزيمة النَّفسيَّة)، وعبَّر عنها في كتاب «الدُّرَّة المختصرة» بـــ (**الخضوع الفكريِّ**)، وهذا التَّعبير أصحُّ وأسلمُ من تعبير هؤلاء القوم.

ومِثله أيضًا تعبير العلَّامة عبد المحسن ابن عبَّادٍ في كتابه «بأيِّ عقلٍ ودينٍ...؟!» عن قصَّـة ابني آدمَ بقوله: (**ابن آدم الأوَّل**)، ولم يسـمِّه ويذكرَ (قابيل وهابيل)؛ لعدم صـحَّة

تسميتهما بذلك.

فانظر إلى ســلامة تعابير العلماء، وإلى خطأ تعابير غيرهم؛ ممَّا فيه التَّنبيه على أنَّ سلامة الطَّريق هي في السَّير في رَكب هؤلاء العلماء، وأنَّ خطأ الطَّريق هي في السَّير وراء غيرهم والإعراض عن طريقتهم.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(ولنختِمِ الكلام بآيةٍ ذكرها الله تَعَالَىٰ في كتابه، تُبيِّن لك أنَّ كفر المشـركين من أهل زماننا أعظم من كفر الَّذين قاتلهم رسـول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء].

فقد ذكر الله عن الكفَّار أنَّهم إذا مسَّـهم الضُّـرُّ تركوا السَّـادة والمشـايخ؛ فلم يدعوا أحدًا منهم، ولم يستغيثوا به؛ بل يُخلِصون لله وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرَّخاء أشركوا).

كفر أهل زماننا أعظم من كفر المشـركين الأوَّلين، أعظم من كفر أبي جهلٍ وأبي لهبٍ؛ لأنَّ المشركين الأوَّلين يُشرِكون في الرَّخاء، ويُخلِصون في الشِّدَّة؛ لأنَّهم يعلمون أنَّه لا يُخلِّص من الشِّـدَّة إلَّا الله، وأمَّا مشـركو زماننا فهم في الشِّـدَّة أكثر شـركًا منهم في الرَّخاء؛ إذا وقعوا في الشِّـدَّة ينادون معبوداتهم؛ كلٌّ ينادي معبوده ليُخلِّصـه من الغرق في البحر، يُخلِّصـه من كذا، كلَّما زاد الخطر زاد الشِّـرك عندهم، فهم أشـدُّ من المشـركين الأوَّلين - والعياذ بالله.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف وَفَّقَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة أنَّ كفر أهل الزَّمان (أعظم من كفر المشركين الأوَّلين)؛ (لأنَّ الأوَّلين) كانوا (يُشرِكون في الرَّخاء)، وإذا كانوا في شـدَّةٍ أخلصوا الدِّين لله عَزَّوَجَلَّ؛ كما دلَّت على ذلك آياتٌ كثيرةٌ، ونصَّ على هذا المعنى شيخ الإسلام محمَّد

ابن عبد الوهَّاب في «القواعد الأربع»، والشَّــوكانيُّ، وصــدِّيق حســن خان في «الدِّين الخالص»، وغيرهم.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

(وأنت ترى المشــركين من أهل زماننا - ولعلَّ بعضــهم يدَّعي أنَّه من أهل العلم، وفيه زهدٌ واجتهادٌ وعبادةٌ - إذا مسَّــه الضُّــرُّ قام يســتغيث بغير الله؛ مثل معروفٍ، أو عبد القادر الجَيْلانيِّ، وأجلُّ من هؤلاء؛ مثل زيد بن الخطَّاب، والزُّبير، وأجلُّ من هؤلاء مثل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! الله المستعان.

وأعظم من ذلك وأطمُّ: أنَّهم يستغيثون بالطَّواغيت والكفرة والمَردة؛ مِثل شَمْسانَ، وإدريسَ - ويُقال له: الأشقر -، ويوسفَ، وأمثالهم.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم.

والحمد لله أوَّلًا وآخرًا، وصــلَّى الله وســلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصــحبه أجمعين.

آمين).

(معروفٌ) هو معروفٌ الكَرْخيُّ، من الأوليـاء الـمعروفين في العراق، يعبـده القبوريُّون.

و(عبد القادر الجَيْلانيُّ) إمامٌ من أئمَّة الحنابلة القدماء؛ فهو إمامٌ جليلٌ، ولكن لمَّا مات اعتقدوا أنَّه ينفع ويضــرُّ؛ فبنوا على قبره، والصُّــوفيَّة اتَّخذوه إمامًا للمتصــوِّفة أصــحاب طريقةٍ يُســمُّونهم (القادريَّة)، وهو بريءٌ منهم رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو معروف بالصَّـلاح والاسـتقامة والعلم والتُّقى، كان من أكابر أصـحاب مذهب الإمام أحمدَ، وله فيه مؤلَّفٌ معروفٌ اسمه «الغُنية».

و(زيد بن الخطَّاب) صـحابيٌّ جليلٌ، وهو أخو عمرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقُتِل في

اليمامة، وقُبِر فيها، وكان عليه قُبَّةٌ، فلمَّا جاء الشَّـيخ محمَّدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هدم هذه القبَّة ولم تقم إلى الآن - والحمد لله -، ولن تقوم إن شاء الله.

و(الزُّبير) بن العوَّام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهُ حواريُّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

وهؤلاء الأولياء والصَّحابة يعبدهم القبوريُّون، ولكنَّهم لم يكتفوا بعبادتهم؛ بل عبدوا الطَّواغيت والكفرة والمَردة من السَّحرة والكهنة والإباحيِّين والحُلوليِّين؛ الَّذين يقولون: من ترك الأوامر والنَّواهي فهو مقرَّبٌ إلى الله، وليس بحاجة للأوامر والنَّواهي؛ وإنَّما هي للعوامِّ فقط، أمَّا هو فوصل إلى الله، ولا يحتاج إلى شيءٍ!

(وشَمْسانُ، وإدريسُ، ويوسفُ) هؤلاء طواغيت؛ كانوا في الرِّياض قبل ظهور دعوة الشَّيخ، فلمَّا جاء الشَّيخ وقام بالجهاد في سبيل الله، واستولى المسلمون على الرِّياض أزالوا هذه الوثنيَّات منها ومن غيرها - والحمد لله.



قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ختم المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ببيان شواهدَ من حال النَّاس: أنَّهم يفزعون في حال الضُّرِّ بهم إلى من يعظِّمونهم من الأولياء والصَّالحين؛ كمعروفٍ، وعبد القادر الجَيْلانيِّ، وزيد بن الخطَّاب، والزُّبير بن العوَّام؛ فإنَّ هؤلاء رجالٌ صالحون؛ فالزُّبير وزيدٌ من أصحاب النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، ومعروفٌ وعبد القادر من صُلَحاء أهل بغدادَ ونُبلائها.

وقبور هؤلاء معروفةٌ مشهورةٌ، وقد كان على بعضها قِبَبٌ منصوبةٌ، أُزيل بعضُها، وبقي بعضها حتَّى اليوم؛ فما كان في هذه البلاد فقد أُزيل بِحَمدِ ٱللَّهِ، وما كان في غيرها فلا

يزال قائمًا.

وقد كان قبر زيد بن الخطَّاب في بلدة (الجُبَيلة) - القريبة من الرِّياض -، قد نُصِبت عليه قبَّةٌ، وكان إمام الدَّعوة في ابتداء دعوته يمرُّ على النَّاس العاكفين عندها فيقول لهم: (الله خيرٌ من زيدٍ)، حتَّى إذا جعل الله عَزَّوَجَلَّ له تأييدًا بقوَّة السُّلطان سعى في هدمها، حتَّى استطاع رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هدمها وإزالتها؛ فلم تقم بعده ولن تقوم إِن شَاءَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

ثمَّ نبَّه الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إلى أنَّ متأخِّري المشركين وقعوا فيما هو أعظم من ذلك؛ بأن دعوا غير الصَّالحين؛ كما دعا بعض أهل هذه البلاد هؤلاء الأولياء المزعومين: (شَمْسانَ، وإدريسَ - ويُقال له: الأشقر -، ويوسفَ، وأمثالهم).

ولم يكن هؤلاء الطَّواغيت في الرِّياض - كما ذكر الشَّارح حَفِظَهُ ٱللَّهُ -؛ بل كانوا في بلاد (العارِض) جزمًا، في جهة (الخَرْج)؛ كما ذكر ذلك الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسنٍ، والشَّيخ محمَّد بن إبراهيمَ في «فتاويه»؛ فهم جزمًا من أهل هذه النَّاحية القريبة من الرِّياض، لكنَّهم لم يكونوا في الرِّياض نفسها.

ولمَّا أظهر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دعوة التَّوحيد قَمع هؤلاء الدَّجاجلة؛ الَّذين كانوا يتعاطون السِّحر والكَهانة، ولهم من الأفعال الخبيثة والسِّيرة السَّيِّئة ما يُخرِجهم من معنى الولاية، ومع ذلك كان النَّاس يعطونهم الأُعطِيات، وينذرون لهم النُّذور.

وكان بعضهم ذا شرٍّ عظيمٍ؛ فقد كان أعمى، ومع ذلك يأتي من بلاد (الخَرْج) إلى الرِّياض بلا قائدٍ يقوده! لأنَّ الشَّياطين تحمله وتؤزُّه على مثل هذا.

حتَّى ذهب هؤلاء - إلى غير رجعةٍ إِن شَاءَ ٱللَّهُ - بدعوة التَّوحيد، وتمكَّن التَّوحيد من قلوب النَّاس؛ فهُدِمت القِبب المنصوبة على القبور، وقُطِعت الأشجار المعظَّمة، ومُنِع

أهل الدَّجل والسِّحر والكهانة، وانتشر التَّوحيد في هذه البلاد.

حتَّى إنَّ إمام الدَّعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا دخل (الدِّرْعيَّة) كان ممَّا عاقد عليه محمَّدَ بن سعودٍ أن يُلزِم النَّاسَ بتعلُّم «ثلاثة الأصول»؛ فتعلَّموا دينهم، وعرفوا ما يجب عليهم من التَّوحيد؛ فاستقام لهم أمر دينهم ودنياهم.

وكتب الله عَزَّوَجَلَّ البركة لهذه الدَّعوة، وازدهرت (الدِّرعيَّة)؛ فبعد أن كانت بُليدةً صغيرةً، قصدها النَّاس واجتمعوا فيها، وصارت سوقًا رائجةً، فيها جمعٌ كبيرٌ من الخلق، وهذا كلُّه ببركة التَّوحيد.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحيينا على التَّوحيد، وأن يميتنا على التَّوحيد، وأن يرزقنا من بركاته.

وهذا آخر التَّعليق على هذا الشَّرح النَّفيس لهذه الرِّسالة النَّافعة.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين [(١)].



(١) تمَّ التَّعليق على الكتاب في مجلس واحدٍ، بعد الفجر يوم الثُّلاثاء الثَّامن من جمادى الأولى، سنة خمسٍ وعشرين بعد الأربعمائة والألف، في جامع الإيمان بحيِّ النَّسيم بمدينة الرِّياض، ومدَّته: ساعاتان وخمس عشرة دقيقةً.

فَوَائِد




فَوَائِد




فَوَائِد




فَوَائِد